جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

مظاهرُ النِّفَار في شعرِ ديك الجنِّ الحِمْصيِّ
(مُقاربةٌ نفسيَّةٌ في ضوء نظريَّات التَّحليل النفسي)

إعداد

د / طه على خليفة أحمد
مدرس بكلية الألسن - فرع الغردقة
جامعة جنوب الوادي

(العدد الثاني والأربعون)
(الإصدار الأول ٠٠٠ أبريل)
(الجزء الأول (١٤٤٤هـ /٢٠٢٣م)

الترقيم الدولي للمجلة (ISSN)2536-9083)
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٢٠٢٣/٦٢٧١م

مظاهرُ النِّفَار في شعرِ دِيك الجِنِّ الحِمْصيِّ
(مُقاربةٌ نفسيَّةٌ في ضوء نظريَّات التَّحليل النفسي)

طه على خليفة أحمد

كلية الألسن، جامعة جنوب الوادي، فرع الغردقة، جمهورية مصر العربية.

البريد الإلكتروني:

ملخص البحث:

مَن يقرأ بعمق ديوان دِيك الجنِّ يكتشف أنه من الشعراء النَّافرين من كل شيء، وأنه كان يعاني من: الشك والقلق والتهور والتقلب في المزاج، ومعاقرة الخمر، والميل إلى الشذوذ الجنسي، والشك في ثوابت الدين وقواعده، ومَن ثم فهو بحاجةٍ إلى دراسةٍ نفسيِّةٍ تغوص في أعماق نفسه، وتبين أسباب هذا النِّفَار ومظاهره، وانعكاسه على فنه، وهذا ما حاوله البحث، مستخدمًا المنهج النفسي في دراسة مظاهر هذا النِّفَار "الذاتي والديني والاجتماعي" عند الشاعر، وإثبات أن شعره قد عبَّر بدقةٍ عن حالته النفسيَّة والشعوريَّة المضطربة التي كان يحياها، وذلك من خلال قراءة مفرداته الشعريَّة التي تصور تصويرًا دقيقًا تلك الحالة، وذلك الصراع الذي مزَّق نفس الشاعر تمزيقًا، خاصة لحظة بناء العمل الإبداعي.

الكلمات المفتاحية: النِّفَار، مُقاربةٌ نفسيَّةٌ، ديك الجنِّ، التَّحليل النفسي.

A Psychological Study in the Light of)
(Psychoanalytic Theories

Taha Ali Khalifa Ahmed
Lecturer of Arabic Literature ,Hurgada Faculty of Al-son
South Valley University

Abstract:

Who reads deeply the collection of poems named as" Cook of al- jinn" " Dick al-jinn, he will discover that Abd al-Salam Ibn Raghbânal-Himsi is a rebellious poet. And it will come to his mind that the poet suffers from suspicion, worry, recklessness, mood disorder, alcohol abuse, pederasty addiction and religion skepticism. Consequently, the poet character needs to be examined psychologically To recognise the reasons and forms of rebellion and how that affected his writings. To conclude, the summary suggests using the psychological method to explain forms of social, psychological and religious rebellion. As his writings expressed accurately about his feelings and psychological disorders. This will be obvious in his literary terms which embodied the poet's inner conflict. It may tear his life completely, especially when he was constructing his innovative wor

KeyWords: *Rebellion, A Psychological, Deek Al-jin,Psychoanalytic Theories.*

المقدمـــة:

يعد تراثنا الأدبي غنيًّا بالعلائق النفيسة، التي أغنتْ هذا التراث، وقد حظي كثير من أعلامه بالدراسة، بل إن بعضهم قُتل بحثًا، وبقي كثير منهم بحاجة إلى مزيد من الدراسات، ولعل عبدالسلام بن رغبان، والمعروف بِديك الجِنِّ، أحد هؤلاء الذين هم بحاجة إلى إلقاء الضوء على إبداعاتهم، بالاستعانة بالمناهج النقديَّة الحديثة.

أسباب اختيار الموضوع وأهميته:

إن القراءة النفسيَّة للنصوص الأدبيَّة، ليست بمعزلٍ عن القراءات الأخرى، فهي كالقراءة البنيويَّة والسيميائيَّة والتفكيكيَّة، وغيرها من القراءات التي تؤكد على استمرارية التفاعل بين القارئ والنص، كما أنها "تستشرف الجوانب المكوِّنة للنص من قضايا اللاشعور والكبت والغرائز والموضوعات النفسيَّة الأخرى، مما يعني أن تحليل النص نفسيًّا هو قراءة تعيده إلى تكوينه النفسي"[١]، وعلم النفس هو "أقرب هذه العلوم إلى ميدان الأدب، وأكثرها فائدة للناقد الأدبي، إذ إن التداخل قوي بين ميدانيّ: علم النفس والأدب، فكلاهما يتخذ من النفس الإنسانيَّة مادة أساسيَّة له"[٢]، كما يشتركان في الاهتمام بالخبرة والسلوك والشخصية الإنسانيَّة[٣]، وكان "فرويد من أوائل الذين

١- د. محمد عيسى: القراءة النفسيَّة للنص الأدبي: مجلة جامعة دمشق، المجلد ١٩، العدد ١-٢، سنة ٢٠٠٣م، ص ٢١.

٢- عبداللطيف شرارة: حصاد الفكر العربي الحديث في النقد الأدبي، ط/ مؤسسة ناصر للثقافة- مصر، سنة ١٩٨١م، ص ٧١.

٣ - مارتن ليندلور: الدراسة النفسيَّة للأدب، النقائص، والاحتمالات، والإنجازات، ت: د. شاكر عبدالحميد، ط/ مسقط- عمان، سنة ١٩٩١م، ص ٥.

رسَّخوا بالنظرية والتطبيق علاقة علم النفس بالأدب والفن والنقد، إذ تناول بالتَّحليل النفسي شخصيَّات الفنانين وأعمالهم الفنيَّة"[١]، وكان هذا من الأسباب التي عضَّدتْ اختيار عنوان هذه الدراسة، فالدراسة النفسيَّة تكشف عن الجوانب الخفيَّة المكوِّنة للنص الأدبي من قضايا الأنا، وما يحمله من عُقدٍ نفسيَّة مختلفة.

ومن خلال استقراء نصوص دِيك الجِنِّ الشعريَّة استبان لي أنه ذو طبيعة شعريَّة خاصة، فهو نافرٌ من كل شيء، ورافضٌ لكل شيء، فيُعدّ بذلك مادة دسمة لتطبيق نظريَّات التَّحليل النفسي الحديثة على نصوصه الأدبيَّة، ومَن ثَمّ فهو بحاجةٍ إلى دراسةٍ تغوص في أغوار نفسه، وتبين مظاهر هذا النِّفَار وانعكاسه على فنه، وعند القراء النفسيَّة لا يكتفي القارئ "باستنطاق الدلالات الكامنة في النص، بل يستنطق تأويلاتها، ويتتبع دوافعها، ويعيدها إلى مرجعيتها اللاشعورية في الحياة الباطنية، وقضايا الغرائز واللاوعي الجمعي، وغير ذلك، ثم يحاول الكشف عن الصلات التي تربط بين تلك الدلالات، والعناصر الأخرى المكونة لسياق النص"[٢]، ومن هنا تتضح أهمية هذه الدراسة في تقديم قراءة نفسيَّة لشعر دِيك الجِنِّ الحِمْصيّ، محاولةً -أيضًا- أن تقدم تفسيرًا آخر للنص الأدبي، يشتعل فيه الوهج النفسي، ويمتلئ بالنضارة والحيوية والمكنونات اللاشعورية، وبعبارةٍ أخرى فهي تعمل على إعادة اكتشاف النص، واستنطاقه من جديد، وأيضًا تسهم في تعزيز التكامل والترابط بين علم النفس والأدب، وهذا ليس أمرًا سهلا؛ لذا نجد عددًا قليلًا من الباحثين مَن يهتم بمثل هذه الدراسات الأدبيَّة، تحت مظلة علم النفس.

١- زين الدين المختاري: المدخل إلى نظرية النقد النفسي، سيكولوجية الصورة الشعرية في نقد العقاد نموذجًا، ط/ منشورات اتحاد العرب، سنة ١٩٩٨م، ص ١١.

٢- د. محمد عيسى: القراءة النفسية للنص الأدبي، ص ٣٥.

هدف البحث وإشكاليَّاته:

هدفتْ هذه الدراسة إلى الإجابة عن بعض الإشكاليَّات المطروحة؛ آملةً –بالإجابة عنها– أن تضيف لبنةً في مجال استقراء الخصائص النفسيَّة للنصوص الشعريَّة، نحو: هل استطاعتْ القراءة النفسيَّة أن تبصرنا بعوالم النصّ الخفيَّة؟ وهل كشفتْ أن دِيك الجنِّ كان يعاني من اضطراباتٍ نفسيَّةٍ شديدةٍ أثَّرتْ على مفرداته الشعريَّة لحظة بناء العمل الإبداعي؟ وهل صوَّرت نصوصه الشعريَّة ذلك الصراع الذي مزَّق نفسه تمزيقًا؟ وهل كان للخمر التي كان يحْتسيها شمولا، قدرة على بعث الاستقرار النفسيّ لديه وترسيخ قدرة أَنَاه على العيش مطمئنًا ولو للحظات؟ ثم ما مظاهر النِّفَار عند شاعرنا؟

الدراسات السابقة:

وهناك بعض الدراسات التي سبقتْ هذه الدراسة، نحو دراسة ميرفت صالح: "شعر دِيك الجِنِّ الحِمْصيّ دراسة نفسيَّة"، وهي رسالة ماجستير منشورة ضمن مطبوعات الجامعة الأردنيَّة، سنة ٢٠٠٩م، والفرق بين هذه الدراسة والتي نحن بصددها، أن الأولى تناولت الوصف الفني –بصفةٍ عامة– للمضامين الأدبيَّة عند دِيك الجِنِّ (البناء الشعري والأغراض) والنفسيَّة (وصف المضمون المعرفي والوجداني والسلوكي والدفاعي) لإنتاجه الأدبي، وانتهتْ الدراسة إلى إثبات أن شخصيَّة الشاعر شخصيَّة متناقضة، ومترنّحة بين الإعلان عن فكرها، والإضمار، وقد أعزتْ ذلك إلى المكونات النفسيَّة والبيولوجية والبيئيَّة للشاعر، لكنها أغفلتْ بعض الجوانب الأخرى في شخصية الشاعر، منها جانب النِّفَار والحِران، وأثره في شعره، وجاءت هذه الدراسة لتلقي الضوء على هذا الجانب، وهو الأبرز عند دِيك الجِنِّ، ثم دراسة أخرى لمراد بن فردية: "دِيك الجِنِّ الحِمْصيّ دراسة في حياته وشعره"، وهي –أيضًا– رسالة ماجستير منشورة ضمن مطبوعات جامعة قاصدي مرباح– الجزائر، سنة ٢٠١٨م، وقد ترجمتْ الدراسة

للشاعر وعصره، ثم عرضتْ لأغراضه الشعريَّة، ومنها –أيضًا– دراسة أكرم حازم: "اللذة والألم في شعر دِيك الجِنِّ الحِمْصيّ، دراسة موضوعيَّة تحليليَّة"، مجلة آداب الرافدين، كلية الآداب جامعة الموصل– العراق، العدد الثالث والثمانون، سنة ٢٠٢٠م، وقد رأتْ هذه الدراسة أن هذه الثنائيَّة ظاهرة نفسيَّة تنبثق من الحالة الاجتماعية والوجدانيَّة للشاعر، وتتفق هذه الدراسة مع الدراسة الحالية، في استخدام المنهج النفسي؛ لاستقراء جانب من جوانب شعر دِيك الجِنِّ، وهو جانب اللذة والألم، وهو بعيد عن الجانب الذي تتناوله هذه الدراسة، إضافة إلى العديد من الدراسات التي تطبق المناهج النفسيَّة في دراسة الأدب، وبيان ما بينهما من علاقة قوية، نحو دراسة مارتن ليندار (*Martin Lindauer*): "الدراسة النفسيَّة للأدب"، ت: د. شاكر عبدالحميد، ط/ عمان، سنة ١٩٩١م، ودراسة زين الدين المختاري: "المدخل إلى نظرية النقد النفسي"، ط/ منشورات اتحاد الكُتَّاب العرب، سنة ١٩٩٨م.

منهج الدراسة:

اعتمدتْ الدراسة المنهجَ النفسي دون غيره؛ لأنه من أكثر المناهج ملاءمة لدراسة شعر دِيك الجِنِّ، بما يحمله من نفسٍ قلقةٍ مضطربةٍ، وهذا لا يعني أن هذه الدراسة تكتفي بالمنهج النفسي للشاعر فقط، وتغفل باقي المناهج الأخرى، فلا يمكن –مثلا– إغفال المنهج الوصفي والتَّحليلي، وغيره من المناهج الأخرى، التي تساعد في استجلاء النصوص الأدبية.

حدود البحث:

تشكّلَ البحثُ من مقدمة، تضمّنتْ: أهمية البحث، وإشكالياته، ودوافع الاختيار، ثم الدراسات السابقة، والمنهج الذي اعتمدتْ عليه الدراسة، وقد قُسِّمتْ الدراسة إلى أربعة محاور، هي:

المحور الأول: سِمات شخصيَّة دِيك الجِنِّ في ضوء نظريَّات التَّحليل النفسي.

المحور الثاني: مظاهر النِّفَار الذاتي.

المحور الثالث: مظاهر النِّفَار الديني.

المحور الرابع: مظاهر النِّفَار الاجتماعي.

ثم الخاتمة، التي تتضمَّنتْ أهم النتائج التي توصلتْ إليها الدراسة، ثم ثبتٌ بالمصادر والمراجع.

واللّه ولى التوفيق،،،

المحور الأول:

سِمات شخصيَّة دِيك الجِنِّ في ضوء نظريَّات التَّحليل النفسي

الاتّجاه النفسيّ في دراسة الأدب اتجاه مهدت له دراساتٌ نقديةٌ عديدةٌ، كدراسات العقاد وطه حسين والنويهي، وقد أكدت معظمها على أن العلاقة بين الأدب والنفس لا تحتاج إلى إثبات؛ لأن الأدبَ يُفهم في ضوء المعرفة بالحقائق النفسيَّة[١]، والنِّفَار من الأعراض النفسيَّة التي هي بحاجة إلى إلقاء الضوء عليها، خاصة إذا كانت سمة بارزة في شخصيَّة شعراء عُرفوا بالحِران والمشاكسة والعدوانيَّة، كدِيك الجِنِّ، ومثل هذه السمات تتكشّف عبر تحليلٍ نفسيٍ عميقٍ للشخصيّة، والتَّحليل النفسي في عُرف علماء النفس "طريقة في المعالجة الطبيَّة للأشخاص المصابين بأمراض عصبيَّة"[٢]، وهذا ما لا يقصده البحث بطريقة مباشرة، إنما يقصد استقراءً نفسيًّا لشخصيَّة دِيك الجِنِّ، وانعكاسها على شعره، معتمدًا على نظريَّات التَّحليل النفسي الحديثة[٣]، والنِّفَار في اللغة (اسم)، وهو مصدر نَفَرَ: أَظهْرَ لَهُ نِفَارًا، أي:

---

١ – د. عز الدين إسماعيل: التفسير النفسي للأدب، ط/ دار المعارف– مصر، سنة ١٩٩٣م، ص ١٤.

٢– سيجموند فرويد: مدخل إلى التحليل النفسي، ت: جورج طرابيشي، ط٣/ دار الطليعة– بيروت، سنة ١٩٩٥م، ص ٧.

٣ – يمكن الاطلاع على هذه النظريات في كثير من المراجع الحديثة، نحو: نظريات الشخصيَّة، د. محمد السيد عبدالرحمن، ط/ دار قباء للنشر والتوزيع– القاهرة، سنة ٢٠٠٢م، ونظريات الشخصيَّة، د: عادل هريدي، ط/ مطبعة إبتراك– القاهرة، سنة ٢٠١١م، ونظريات الشخصيَّة: د. أيوب لطفي مخدوم، ط/ دار حامد للنشر والتوزيع– الأردن، سنة ٢٠١٤م.

كُرْهًا وإِعْرَاضًا، والنِّفَار: الحِرَان، وعدم رضى من الشَّيء، وهو مأْخوذ من نِفارِ الشيء من الشيء، إنما هو تَجافِيهِ عنه وتَباعُدُه[١]، والنِّفَار والحِران في علم النفس، هو: "شعور الفرد بالرفض والكراهية لكل ما يحيط به، مما يدعوه لممارسة العنف، ووجود نزعة تدميريَّة تتجه إلى خارج الذات في شكل سلوك عدواني، وأخرى تتجه إلى داخل الذات في شكل عزلة وعدوان موجه إلى الذات"[٢]، وبحسب منظور علم النفس، وقراءة شعر دِيك الجِنِّ، فإننا نجد تلك الأعراض متمثّلةً تمامًا في اللاشعور عند الشاعر، واللاشعور منطقة نفسيَّة في العقل الباطن، تذخر ببعض التجارب المؤلمة، ومعظم هذا التجارب رغبات ومخاوف وآمال، تهز كيان النفس، ولم تسمح لها القيود الدينيَّة والاجتماعيَّة بالتحقيق، فتندحر إلى أعماق النفس، ولا يمكن أن تُستدعى إلا بوسائل غير عاديَّة، كالخبل والنِّفَار والشذوذ والجنون و...إلخ[٣]، وقد آثرتُ في هذا البحث استعمال مصطلح النِّفَار دون غيره من المصطلحات التي تقترب من المعنى نفسه؛ لأن هذا المصطلح أليق بشخصيَّة دِيك الجنِّ العنيفة المتهوّرة، التي لا ترضى عن شيءٍ أبدًا؛ ولما يوحِي به هذا المصطلح من عنفٍ وشدةٍ في الإعراض، والكره والنفور بقوة، إضافة إلى الجزع الشديد، يقول ابن منظور: "وكلُّ جازِعٍ من شيء نَفُورٌ"[٤] وهو غير التمرّد –مثلا– الذي يدور معناه حول العصيان، وعدم الخضوع، حيث يرى ألبير

---

١ – ابن منظور: لسان العرب، ت: عبدالله الكبير وآخرون، ط/ دار المعارف– مصر، (د.ت)، ج/١٤، حرف النون، مادة (ن ف ر)، ص ٣١٨.

٢ – د. سناء حامد زهران: إرشاد الصحة النفسية لتصحيح مشاعر الاغتراب، ط١/ عالم الكتب– القاهرة، سنة ٢٠٠٤م، ص ١٠٩.

٣ – سيجموند فرويد: تفسير الأحلام، عرض وتبسيط/ د. نظمي لوقا، ط/ دار ومكتبة الهلال– القاهرة، ص ١٧١.

٤ – ابن منظور: لسان العرب، ج/ ١٤، ص ٣١٨.

كامو أن التمرّد قائم على فكرة وجود حدٍّ ما، يجعل الأمور مقبولة، وإذا تم تجاوز هذا الحدّ، ينشأ التمرّد، فالتمرّد يستند إلى رفضٍ قاطع لتعدٍّ لا يُطاق، وهو مقرون بشعور الإنسان المتمرّد بأنه على حق، وأنه يرفض أمرًا ما، فيه تجاوز عن الحدّ المسموح به[١]، والتمرّد أيضًا "عبارة عن احتجاج غامض لا ينطوي على مذهب"[٢]، ومن هنا يمكن القول: إن النِّفَار –في أغلب أحواله– حالة مرضيَّة ناتجة عن خلل نفسي، أو شك عقدي، أو عدوانيَّة تجاه الواقع، فهو أليق إذن بشخصيَّة دِيك الجِنِّ، أما التمرّد فهو أقرب إلى الاحتجاج، والرفض القاطع لتعدٍّ لا يُطاق.

وقد عُرف عن العصر العبَّاسيّ أنه جمع بين المتناقضات في كثير من الأشياء، فيمكن أن نطلق عليه عصر التقدم العلمي؛ لما شهده من كثرة العلماء وقادة الفكر في شتى مناحي الحياة، وهو عصر الحكمة؛ لما شهده من نضج واكتمال للعقل العربي بعد اطلاعه على حضارات الشعوب التي فُتحت أقطارها، وهو عصر الإيمان لكثرة الزُهَّاد والنُسَّاك والقرَّاء والفقهاء والمحدثين، وهو عصر الإلحاد والشك؛ لانتشار مظاهر الكفر والزندقة، وهو عصر اللهو والمجون والخلاعة؛ لشيوع الخمر والغناء والشذوذ وكثرة الحانات ودور اللهو والفجور، ولا ننسى –أيضا– أنه عصر الشعراء المُولَّدين، كبشار وأبي نواس وأبي دلامة ودِيك الجِنِّ وغيرهم، والتوليد وأثره على نفوس الشعراء ليس بحاجة إلى إيضاح، تناقضٌ في حالات الشعور، وإحساسٌ متوالي بالاضطراب (*Sensuous Continuum*) ومزاجٌ عصبي متنقل، وإحساسٌ متناقض متذبذب بين حالة ماديَّة وأخرى معنويَّة، فشاعرٌ متناقض العقيدة، حائر بين الإيمان والكفر، وشاعرٌ له في الدين فلسفة خاصة، وشاعرٌ لديه شك في الآخرة قوي، وحيرة

---

١ – ألبير كامو: الإنسان المتمرّد، ترجمة: نهاد رضا، ط٤/ بيروت، سنة ٢٠٠٢م، ص ٢١.

٢ – سعيدي محمد: الرفض في الشعر العربي المعاصر، مجلة الآداب والعلوم– جامعة قاصدي مرباح ورقلة– الجزائر، العدد السابع، سنة ٢٠٠٨م، ص ١٣٠.

بين اليقين والإنكار، واختلاط بين الغرائز وتشابكها[١]، والمدقق في شخصيَّة دِيك الجِنِّ يكتشف أنه كان يعاني من معظم آثار التوليد، شكٌ وقلقٌ واضطرابٌ ونزقٌ وتهوّرٌ، وتقلبٌ في المزاج، ومعاقرةٌ للخمر، وشذوذٌ جنسي، وتذبذبٌ في الإيمان، وشكٌ في ثوابت الدين وقواعده، وقد حاول جاهدًا أن يخفي كل هذه المعاناة النفسيَّة وراء أَنَاه المتعالية، ووراء معاقرته للخمر، ومجاهرته بالشذوذ الجِنسي في قصائده، لكنّه لم يستطع، وباءتْ كل محاولاته بالفشل الذريع، إذ نراه يفضح نفسه ويكشفها، من حيث ظن أنه يخفيها، فهو لولا عُقَده النفسيَّة تلك، وما فيه من قلق وشك واضطراب، لما أبرز أَنَاه وتحدى المجتمع بعبِّه من الخمر عبًّا، وبمناداته بالشذوذ على مرأى ومسمع، وكأنّه يتحدى مجتمعه بتمرّده على قيمه وعاداته، دون أن يناله عقابٌ من ذلك المجتمع المتهاون، ومن خلال استقراء سيرته وشعره، وبمنظور علم النفس، نجد أن شخصيَّة دِيك الجِنِّ تتسم بالآتي:

العدوانيَّة: السلوك العدواني في نظريَّات التَّحليل النفسي الكلاسيكي، كنظرية (الإحباط–العدوان)، والتي من أشهر علمائها: نيل ميلر(*Neal Miller*) وروبرت سيلزر(*Robert Sellers*)، ترى أن العدوان يتجه غالبًا نحو المصدر المثير، بهدف إزالته أو التغلب عليه، كرد فعل للقلق والتوتر المصاحب للصدمة، وتوصل رواد هذه النظريَّة إلى وجود علاقة بين الإحباط والعدوان[٢]، وقد أوضحت نظرية التَّحليل النفسي لفرويد(*Sigmund Freud*) في مجال دراسة سلوك العدوان والعنف، أن

---

١ – د. عزيز فهمى: المقارنة بين الشعر الأموي والعباسي في العصر الأول، ط/ دار المعارف، سنة ١٩٧٩م، ص ١٧٢–١٧٦.

٢ – د.عصام عبداللطيف: سيكولوجية العدوانيَّة وترويضها، ط/ دار غريب– القاهرة، سنة ٢٠٠١م، ص ١١٣.

العنف ضد الآخرين ينجم عن اعوجاج في الشخصيَّة مرده الحرمان والإحباط، وتواجه هذه الشخصيَّة الإحباط الذي يصيبها بالعدوان والاندفاع والتهور، دون حساب للنتائج، حتى وإن كان سلوكه يؤدي إلى كوارث، وقد يصيبه الندم الشديد بعد ذلك[١]، وقد مرَّت حادثةٌ على دِيك الجِنِّ تثبت مدى عدوانيَّته، فقد روى هذه الحادثة كثيرٌ من الأدباء كأبي الفرج الأصفهاني، الذى يقول: "كان عبد السلام –دِيك الجِنِّ، فهو: عبدالسلام بن رغبان، ت: ٢٣٦هـ– قد اشتهر بجارية نصرانية من أهل حمص، هويها، وتمادى به الأمر حتى غلبت عليه، وذهبت به، فلما اشتهر بها دعاها إلى الإسلام ليتزوج بها، فأجابته لعلمها برغبته فيها، وأسلمت على يديه، فتزوجها، وكان اسمها وردًا...، وكان قد أعسر واختلَّت حاله، فرحل إلى سَلَمْية، قاصدًا لأحمد بن على الهاشمي، فأقام عنده مدة طويلة، وحمل ابن عمه بغضه إياه بعد مودته له، وإشفاقه عليه، بسبب هجائه له، على أن أذاع على تلك المرأة التي تزوجها عبدالسلام، أنها تهوى غلامًا له، وقرر ذلك عند جماعة من أهل بيته وجيرانه وإخوانه، وشاع ذلك الخبر حتى أتى عبدالسلام...ثم اخترط سيفه، فضربها حتى قتلها...فبلغه الخبر على حقيقته وصحَّته، واستيقنه فندم..."[٢]، ثم رثاها رثاءً حارًّا، ردُ فعلٍ متهور دون أن يتحقق أو يتروّى جيدًا، وقتلٌ سريعٌ لمجرد الشك، وعودةٌ أسرع إلى الندم والتأسّف، وهذه هي النزعة التدميريَّة التي تتجه إلى خارج الذات في شكل سلوك عدواني –كما ورد في التعريف السابق– إنه اعوجاج في الشخصيَّة –على حد قول فرويد– وعدوانيَّة شديدة، وصاحب النزعة العدوانيَّة يتسم أيضًا بـ" الغضب وسرعة

---

١ – كارل ألبرت: أنماط الشخصيَّة أسرار وخفايا، ت: حسين حمزة، ط١/ مطبعة كنوز المعرفة– الأردن، سنة ٢٠١٤م، ص ٢٣–٢٤.

٢– أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، حققه: د. إحسان عباس وآخرون، ط/ صادر– بيروت، ج١٥، ص ٤٦.

الانفعال، والتَّسرع والعداوة"[١]، وهذا ما نجده فيه، فإذا تعرَّض له شخصٌ يغضب سريعًا، ويُخِرج من فِيه أقذر الألفاظ، وأحطَّها قدرًا، في هجاءٍ كأنه حُمَمٌ بركانيَّةٌ، يقذفها في وجه خصمه قذفًا بلا رفقةٍ أو هوادة، وهذا ما فعله مع ابن عمه، الذي نصحه بأن يسير سيرة حسنة، ويكف عن شرب الخمر، فاندفع يهجوه في قصيدة طويلة على بحر المنسرح، منها:

يا عجبًا من ابن أبي الخبيثِ ومِنْ سروحِهِ في البَقائرِ الدَّثِرهْ

كَريمةٍ لُؤمك استخَّفَ بـــــــها ونَالها بالمثالبِ الأشِرهْ[٢]

فهذ ابن عمه، لا يتورع من أن يجعل خُبثه يثير العجب، وذهابه ومجيئه في ثياب قذرة، وأمه جمعت المعايب كلها، والأبيات كلها على هذا النهج.

القلـق: "الشخصية القلقة تكون الصفة الغالبة عليها هي الشعور بعدم الارتياح، وتوقع المواقف الخطيرة دائمًا، وتوقع الأسوأ دومًا، من مصدر ما غير واضح، وقد يكون المصدر واضحًا، ويتميز صاحب هذه الشخصية بالاستعداد والتحفّز الدائم؛ توقعًا للخطر؛ وتأهبًا لملاقاته، ورد الفعل يكون أكثر شدة وقلقًا..."[٣]، والقلق حالة انفعالية تتميز بالخوف مما قد يحدث، وأنَ منه القلق المحمود السّوي، عندما يأتي استجابة لمواقف محددة في حياة الإنسان، ومنه القلق المَرضي السوداوي،

---

١ – منتهى عبد الصاحب: أنماط الشخصيَّة وفق نظرية الإنيكرام والقيم والذكاء الاجتماعي، ط١/ عمان، سنة ٢٠١١م، ص ٣٢.

٢ – عبدالسلام بن رغبان: ديوان شعره، جمع وتحقيق: مظهر الحجي، ط/ منشورات الاتحاد العربي– دمشق، سنة ٢٠٠٤م، ص ١٢٩.

٣ – كارل ألبرت: أنماط الشخصيَّة أسرار وخفايا، ص ٨٦.

وهو مرض دائم يلازم صاحبه؛ نتيجة خبرات سابقة[١]، وفي منعطف هذا البحث يتضح أنَّ القلق عند دِيك الجِنِّ هو من النوع الثاني، أي القلق المَرضي السوداوي، فقد اتّصف قلقه الدائم بالتوتر الشديد المُرهِق، والسخط والتناقض، وألزم نفسه بالانعزال، وهو في معظم وقته غير مُطمئن النفس، ويخاف من كل شيء، فهو لا يخاف من الناس، أو يشك فيهم فقط، بل تعدّى شكّه في الدهر والأحداث، وتوقعه لأسوئها –كما سنرى لاحقًا في أبيات كثيرة– وكلّها استجابات مفرطة لا مُسَوِّغَ لها من الناحية الموضوعية، ولا تتوافق مع الفطرة البشريَّة، وهذا القلق هو ما جعله لا يكف عن البوح بهذه الشكايات، فنراه محذرًا من الثقة في الدهر، ويشبهه بأنه محضُ لصٍّ يرقبه؛ ليسرق منه شيئًا ما غالٍ، وأن الغانيات كُلهن غادرات، يجب ألا يثق فيهنّ أحد، ومن ذلك قوله على بحر الخفيف:

يرقدُ الناسُ آمنينَ وريبُ الـــــدَّ هرِ يرعاهُمُ بِمقلّة لصِّ[٢]

ويقول على بحر السريع:

والدَّهرُ لا يسلمُ مـــن صَرفهِ مُســربلٌ بالسَّردِ مُستبسِلُ [٣]

ويقول محذرًا من النساء وغدرهنّ على بحر الطويل:

ولا تَثِقنْ بالغَانياتِ وإن وفتْ وفاءُ الغَواني بالعهودِ من الغدرِ[٤]

---

١ – د. محمد عيَّاش: أنماط الشخصيَّة وإشكالات القيادة والتربية في العمل الإسلامي المعاصر، ط/ عمان، سنة ٢٠١٣م، ص٦٤، (بتصرف).

٢ – الديوان، ص ١٦٦.

٣– السابق، ص ١٩٦–١٩٧.

٤ – السابق، ص ١٤٢.

وقد ميَّزَ فرويد بين نوعين من القلق: القلق الموضوعي الذي هو استجابة واقعية للخطر المدرك والناجم عن البيئة، ويوازي هذا المفهوم للقلق مفهوم الخوف، أمَّا النوع الثاني فهو القلق العصابي الناجم عن صراع لا شعوري داخل الفرد، ولا يكون الفرد عادة على وعيٍّ بأسبابه[١]، ونحسب أن انتظارَ الموت –أيضًا– وترقبَه عند شاعرنا من النوع الثاني، حيث يقول خائفًا من الموت على بحر السريع:

أَنْسَأنِي الدهـــرُ ولمْ ينـسني والموتُ قدْ يودي بمن في الرِّضاعِ[٢]

ويقول على بحر الطويل:

فإنّي رأيتُ الدَّهرَ يُسرعُ بالفتى وينقُلُهُ حَالَيْن يختَلفانِ[٣]

وقد يسهم في شدة قلقه إدمانه الخمر، فالمدرسة السلوكيَّة في علم النفس ترى أن المدمن دائم القلق والتوتر، فيسكن بالخمر والمُسْكِرات، ويعتبر هذا تعزيزًا إيجابيًا لتناول المخدر أو الكحول باستمرار، ويستمر في التعاطي، مستثنيًا الآثار السلبيَّة التي قد يشعر بها[٤].

الشك: "تتصف الشخصيَّة الشكّاكة بالحساسيَّة الزائدة وسرعة التأثر والانفعال، فهو ينفعل سريعًا، ويتأثر بالمواقف، بأول علامة تصدر له من الشخص المقابل، حتى لو كانت غير مقصودة، لهذا يجد صعوبة كبيرة في إقامة علاقات موفقة مع الآخرين،

١– أحمد عبد الخالق: قلق الموت، سلسلة عالم المعرفة، ط/ الكويت، سنة ١٩٩٨م، ع١١، ص٣٠.

٢ – الديوان، ص ١٦٩.

٣ – السابق، ص ٢٨٧.

٤ – عفاف عبدالمنعم: الإدمان دراسة نفسيَّة لأسبابه ونتائجه، ط/ دار المعرفة الجامعية– الإسكندرية، سنة ٢٠٠٣م، ص ٦٩.

ويصل الأمر بعد فترة أن يجد نفسه معزولا عن المجتمع، وهذا ما يزيد من متاعبه، وشكوكه النفسيَّة"[١] وقد كان دِيك الجِنِّ شكَّاكًا، وما تسرعه بقتل (ورد) دون تحقّق، إلا لسرعة شكّه في سلوكها، وكان يخاف كل مَن حوله، ويهرب من الناس، ويشك فيهم، ويشعر أنه محاصر ومطارد، وهذا الاضطراب والشك الذي يعاني منه، هما ما دفعاه إلى هجر قومه، واعتزالهم؛ ليظل وحيدًا بمعزلٍ عنهم في أحد بساتين حِمْص–كما ورد في مقدمة الديوان– بل هجاهم جميعًا، قائلا على بحر الكامل:

شاهتْ وجُوهُكُمُ وجوهًا طالمـــا رَغِمَتْ معاطِسُهَا وساءتْ حالا[٢]

الشخص الذي يعادي قومه جميعًا، ويهجوهم، ويعتزلهم، لا شك أن به خللا نفسيًا.

الإدمـان: للخمر أثرها الكبير على شاربها، فهي تعطّل أجزاءً من المخ، وتؤدي إلى إصابة المتعاطي بالتقلب المزاجي، الذي يجعله بين الهدوء والتقلب والاستكانة والهيجان، كما يشعر بنشاط زائد يعقبه تعب وخمول[٣]، ويرى المحللون النفسيون أن المدمن لا يشعر فقط بالإحباط والعدوان، إنما يعاني أيضًا من الاكتئاب، الذي يحاول التخلص منه بالمخدرات[٤]، إضافة إلى أن "التشوهات السائدة لدى أولئك الذين يعانون من الإدمان، تعكس حقيقة أن الإدمان يترافق بشكل كبير مع حالات

١ –كارل ألبرت: أنماط الشخصيَّة، ص ٩٠.

٢– الديوان، ص ١٩٠.

٣ – سويف مصطفى: مشكلة تعاطي المخدرات بنظرة علميَّة، ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ٢٠٠٣م، ص ٢٤.

٤ – عبدالرحمن العيسوي: المضمون النفسي لقانون المخدرات، ط١/ دمشق، سنة ٢٠١١م، ص ٢٧٦.

الاكتئاب والقلق"[١]، هذا ما يراه علم النفس في الإدمان، وهو ما يتطابق تمامًا مع دِيك الجنَّ، فقد أورد ابن عساكر في تاريخ دمشق قصة تدل على أن صاحبنا ما كان يستفيق من سكره، يقول: "...قلنا لأبي تمام لو أنبهت لنا دِيك الجِنِّ مما هو فيه، ولك عشرة آلاف درهم، فقال أبو تمام: دخلت عليه وهو مطروح على حصير سكران، وغلام على رأسه يروِّحه، فلمَّا رآني الغلام، قال: مولاي أبوتمام، قال: ويلك! حبيب؟ قال نعم، فقام فلبَّبني، وقال: الحسن يقول مثلي؟ ثم أنشدني...، قال: فلم أزل به حتى نوَّمته وخرجت، فقيل لي: إنما قلنا أنبهُ، ولم نقل لك نوّمه، قال: قلت لهم: دعوا ذا ينام، فإنه إن انتبه، خسرنا عشرة آلاف"[٢]، ونتيجة لهذا فشاعرنا يواجه نفسًا هشَّة تهذي، ومدمرة داخليّا، وتفتقر إلى التماسك، الناجم عن التقلب المزاجي، الذي يجعله بين الهدوء والتقلب والاستكانة والهيجان، وقد جاء معظم شعره على هذه الشاكلة، مفردات تحمل كفرًا وإلحادًا وهذيانًا وشذوذًا.

الزندقة: كانت زندقة شاعرنا زندقةً اجتماعية، من باب التَّظرّف، وهذا النوع نستقرئه من شعره، والزندقة الاجتماعية لا يتورع صاحبها عن إظهار نزعته الماجنة، في الحياة العامة، حيث يبدو الحسّ الغرائزي سافرًا، وميول الفحش بادية، والرغبة في الانتهاك معلنة، بحيث لا يُقرّ بسلطة، ولا يخضع لرقابة زائفة، طالما اختبر مفعولها،

---

١ – د. داليا محمد خطَّاب: سمات الشخصيَّة والتشوهات المعرفيَّة لدى مدمني الكحول، المجلة المصريَّة للدراسات النفسيَّة، العدد(١١٦)، المجلد الثاني والثلاثون– يوليه ٢٠٢٢، ص ١٣٩.

٢ – ابن عساكر: تاريخ دمشق، تحقيق: سكينة الشهابي، ط/ مطبعة دمشق– سوريا، سنة ١٩٩٢م، ج ٤٢، ص ٢٤٠.

وكشف تمثيلاتها، فهي ولوج إلى دائرة المحرمات الاجتماعية[١]، وهذا ما نجده في شعره واضحًا، كما سيأتي.

وبالجملـــة:

فقد كان دِيك الجِنِّ الحِمْصيّ صورة حية لعصره الذي عاش فيه، يجمع المتضادات والمتناقضات في كل شيء، وهو شديد التأثر بأوضاعه النفسيَّة المتقلبة والمتناقضة، فقارئ شعره يرى أن الشاعر لا يكاد يستقر نفسيًا على شيء، فنراه يمدح بكل إخلاص، ثم يهجو بكل منقصة، ويعشق (وردًا) زوجه، ويصور نفسه مخلصًا لها إخلاصًا شديدًا، ثم نجده خليعًا ماجنًا شاذا، لا يستقر على حب، أو كأنه لم يعرف (وردًا) البتَّة، بل يقتلها لمجرد الشك، ونراه يفخر بنفسه، ويعتدّ بها اعتدادًا شديدًا، ثم يصور نفسه صعلوكًا، يجول الآفاق، حاملا سيفه على عاتقه، وهو دائم القلق من الدهر وتقلباته، متغير الأمزجة والأهواء، كل هذه المتناقضات النفسيَّة كانت تتصارع في أَنَا دِيك الجِنِّ، فالأنا عنده في صراعٍ دائم، لا تستقر على شيء، وهي أَنَا سافرة قلقة حزينة مضطربة، وبالرغم من أن دِيك الجِنِّ كان يرتكب من الآثام ما يجلّ عن الوصف، ويصور دائما نفسه أنه لا يأبه بدين ولا عرف مجتمعي، بيد أنه كان يكتوي بنار لوم المجتمع له، ونقده الهادم لجدار نفسيَّته الذي انهدم وانقضّ أكثر من مرة، وما كان هروبه إلى بساتين حمص، وإقامته فيها بعيدًا عن الناس، إلا انتقامًا لنفس ممزّقة وحائرة ومشتّتة، فقد كان دِيك الجِنِّ نافرًا من كل شيء، محقّرا لكل جليل، مشوِّها لكل جميل، ومثل ذلك الشخص الذي لا يؤمن بشيء، ولا حرمة عنده لمبدأ، أو عقيدة أو خلق، هو شخص يعاني من مركب نقص، أو عقد نفسية[٢]، فإذا كان أنصار التَّحليل

---

١ – أحمد أمين: ضحى الإسلام، ط/ مكتبة النهضة– مصر، ج١، ص ١٥٦.

٢– حلمي مراد: مركب النقص والعقد النفسيَّة، أسبابها وعلاجها وأمثلتها عند العظماء، ط/ المؤسسة العربية للطبع والنشر– القاهرة، ص ١٠.

النفسي للأدب يرون أن "التَّحليل النفسي للأدب من أصلح المناهج الأدبيَّة تقصّيًا للحقيقة، وإثراءً للفن"[١]، فإن الباحث يرى أن تلك المقولة تنطبق تمامًا على دراسة شاعرنا، فكل الدلائل تدل على أن تكوينه كان شاذًا، وانعكاسات هذا التكوين على فنه وإبداعه ظاهرة، وهذا ما سنراه في المحاور التالية.

المحور الثاني: مظاهرُ النِّفَار الذاتي

قد يلجأ الإنسانُ إلى جَلْد ذاته معنويًا، وهذه الحالة في ذم النفس تسمى في التَّحليل النفسي بالتشهير بالنفس (*Exhibitionism*)، وهذا إعلان عن السخط، ومرده الشعور بالذنب (*Sense of Guilt*)، عندما يعجز المرء عن إصلاح ذاته[٢]، مما يؤثر على أقواله وأفعاله، ودِيك الجِنِّ يقدِّم لنا صورة من هذا اللون، كاشفًا لنا فيها عن بعض مكوناته النفسيَّة العميقة في كل أطوارها، ويبين فيها عدم الرضا عن ذاته، أو التوافق معها، في صورة تكشف عن التمزّق النفسي، والصراع الداخلي، فنراه يصور نفسه –وهاجيا إياها– أنه سمجٌ جِنّيٌّ، لا يسلم من هجائه أحد، كما يحمل تهديدًا ووعيدًا لمن سولت له نفسه التعرض له، يقول على مجزوء الرمل:

أيُّهـا السَّائلُ عنِّـــــي ... لستَ بي أخبرَ منِّي

أنا إنسانٌ يَرَانـــي اللَّـ ... ـهُ فـي صورةِ جنِّي

بلْ أنا الأسمجُ في العيـ ... ـنِ، فدعْ عنكَ التَّظنِّي

---

١ – د. خريستو نجم: في النقد الأدبي والتحليل النفسي، ط/ دار الجيل– بيروت، سنة ٢٠٠٢م، ص ٤٣.

٢ – مجموعة من المؤلفين: مراجع الشخصيَّة "الهو، الأنا والأنا العليا" دراسة في التحليل النفسي، ت: وجيه أسعد، ط/ منشورات وزارة الثقافة– دمشق، سنة ٢٠٠٢م، ص ٣١١.

أنا لا أسلـــــم من نفـ   سي فمن يسلم منِّي[١]

يقول جان نويل: "إن القصيدة تعرف أكثر من الشاعر"[٢]، وقد صدق، فهنا يكشف تكرار الضمير "أنا" عن حالةٍ نفسيَّة نافرة، وذاتٍ قلقة، تبوح بمكنوناتها للعالم الخارجي دون خوف أو وجل، وهذه النفس السيئة الشرسة لا يسلم هو نفسه منها، فكيف غيره من الناس؟! وقد أراد الشاعر أن يلفت بهذا النِّفَار الذاتي نظر الآخرين إلى مكنوناته النفسيَّة، وتصوير نفسه بأنه جِنِّيٌّ، يؤكد تماما ما تقدمه لنا أبياته عنه، فالطبيعة البشريَّة مفطورة على أن تصور نفسها دائما في مكانة حسنة، وتضفي على سيرتها كل ما يُعلي من قيمتها، لكن أَنَا الشاعر لا تأبه بذلك، فهي جامحة متقلبة، وهذا يؤكد لنا ما يراه كثيرٌ من المحللين النفسيين أن هناك أشياء كثيرة لم يبح بها النص، وهي كامنةٌ في طيَّاته، وأن للنص لا شعوره أيضًا، فالحدث الأدبي "لا يحيا إلا إذا انطوى في نفسه على جزء من انعدام الوعي، أو من اللاوعي نفسه"[٣]، ويتضح ذلك جليًا حينما يفخر بنفسه في ذات الوقت الذي يهجوها فيه، حيث يقول على بحر البسيط:

ما الذَّنبُ إلا لجدَّي حينَ ورَّثني   علمًا وورَّثهُ مـن قبلِ ذاكَ أبِـــي

فالحـمدُ للهِ حمــــدًا لا نفادَ لـهُ   ما المرءُ إلا بما يحْوي من النَّسبِ[٤]

فهو من أسرة اشتهرت بالعلم، وقد ورث العلم منهم، لكن لا فائدة من هذا العلم وسط هؤلاء الجهلاء من الناس، حيث يقول على بحر البسيط:

---

١ – الديوان ص ٢٤١-٢٤٢.

٢- جان نويل: التحليل النفسي والأدب، ت: حسن المودن، ط/ المجلس الأعلى للثقافة- مصر، سنة ١٩٩٧م، ص ١١.

٣ – الديوان، ص ١٤.

٤- السابق، ص ٧٨.

إنَّي امروٌ نازلٌ في ذِروتيْ شرَفٍ لِقيصرٍ ولكـــــــــسرَى مَحْتِدي وأبي

فإنْ تَجُدْ تَجِدِ النُّعمى وتحظَ بها وإنْ تُضِقْ لا يَضقْ في الأرضِ مضطربي[١]

حتى فخره يعبر عن نفس حادة الطبع، قوية الاعتداد بذاتها، مفرطة في ذلك الاعتداد إفراطا شديدا، فهو ينهي نسبه إلى كسرى وقيصر، ثم يعود فيبرز النِّفَار الذاتي داخله، فنجده في نفس القصيدة تظهر خفايا نفسه الرافضة لكل شيء، فهو يذكر أن الشنفري والسّليك إلى جوار تمرّده على واقعهم كالأطفال الرضّع بالنسبة إليه، وهذان

وخوضُ ليلٍ تهابُ الجِنِّ لجَّتَهُ وينْطَوي جَيشُها عن جيشهِ اللَّجبِ

ما الشنفرىُ وسليكٌ في مُغَيِّبةٍ إلا رضَيعا لِبَانٍ في حِـــمىً أشِبِ[٢]

الصعلوقان يجد فيهما شبها لذاته، يقول على نفس البحر:

وتظهر كلمة "جِنّ" التي يحرص الشاعر على تكرارها كثيرا حينما يتحدث عن نفسه، فهو ذو قدرات خارقة، لا تنبع إلا من نفس نافرة، ومثل هذه الأبيات تظهر أهمية القراءة النفسيَّة لهذا الشاعر، فالتعامل مع النصوص وفق منظور نفسي "يمنحنا قراءة خاصة عبر صياغته الفنيَّة التي تحمل في ذاتها رؤية لعالم الإنسان الخفي"[٣].

وإذا عرَّجنا إلى حادث مقتل زوجه (ورد)، رأينا كيف تصور ذلك الصراع الذي يمزّق نفس الشاعر تمزيقًا، إذ نجد إحساس الحب الجارف، والتعلق بالآخر، وإشاعة ذلك التعلق، يعقبه إحساس الحرمان والندم والتأسي على ما حدث، وكل ذلك

١- الديوان، ص ٧٨.

٢- السابق، ص ٧٨.

٣ – د. عبدالقادر فيدوح: الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي، ط/ اتحاد الكُتَّاب العرب، سنة ٢٠٠١م، ص ١٤.

مجموع يعكس نِفارًا نفسيًا في الأنا الشاعرة لدِيك الجِنِّ، فهو دائم الصراع الذي يتأرجح بين الأنا الوادعة العاشقة المتعلقة بمن تحب، وبين الأنا المتهورة المتمردة القلقة، ذات النزعة التدميريَّة، فيقول بعد مقتل ورد مباشرة على بحر الخفيف:

خُنْتَني في المغيبِ والخونُ نكرٌ وذميمٌ في سالفاتِ الدِّهورِ

فَشَفَانِي سيفي وأسرعَ في حـــ زِّ التَّراقي قطعًا وحَزِّ النُّحورِ[1]

فهذا الموقف أوقعه من الانفعال إلى الغضب إلى القتل مباشرة، والغضب مظهر انفعالي يتبدَّى في سلوك الإنسان، وقد يقود إلى فكرة الموت، سيما عند المدمنين للخمر، كحل لإنهاء طارئ مزعج، فالإدمان يؤدي إلى الغضب السريع، وإلى تغيرات نفسيَّة، وتصرفات عدوانية، فيبدأ الإنسان من *Alcohol Abuse* (تعاطي) إلى أن يصبح *Alcohol Dependence* (إدمان)، فالغضب من الأشكال السلوكية التي تزلزل كيان الشخصية، وتجعل المرء يسارع إلى ما يراه دفاعًا عن كيانه[2]، والمقطوعة تحمل ألفاظًا قوية تُلجئ الباحث إلى تحليل اللغة والكلمات؛ لمعرفة ما تحويه من مكنونات نفسيَّة، اتفاقًا مع رأي جاك لاكان، حيث يقول: "إن نسق ما قبل الشعوري يمكن أن يمتح من المفهومات اللغويَّة اللسانيَّة؛ ليصبح أكثر إقناعًا وأكثر مرونة"[3]، فهذه الأبيات تعكس نفسًا توشك أن تنفجر وتحطم كل شيء حولها، فورود كل هذه الكلمات: "خنتني– خون– نكر– ذميم– شفاني سيفي– حزِّ التراقي– قطعًا– حزِّ

١– الديوان، ص ١٥٥.

٢ – يوسف ميخائيل أسعد: سيكولوجية الغضب، ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب– مصر، سنة ٢٠٠١م، ص ٣٩.

٣ –دالان إفانز وآخرون: جاك لاكان وإغواء التحليل النفسي: ت: عبدالمقصود عبدالكريم، ط/ المجلس الأعلى للثقافة– القاهرة، سنة ١٩٩٩م، ص ٨٤.

النّحور" في بيتين اثنين فقط، وهي ألفاظ تفور فورانا –لو صح التعبير– تؤكد على تلك النزعة التدميريَّة التي تجيش في نفسه، والتي تظهر فجأة، وكأنها سيل جارف، لا يبقي ولا يذر، ثم يعقبها أسفٌ وندمٌ شديدان يعتصران نفس الشاعر، ويمزقانها تمزيقا، ثم تكرار الكلمات "حزَّ" مرتين، و"قطع" في البيت الثاني، وهي من مترادفات القتل، تعكس أنًا تفور كبركان يقذف لهبًا، قد ترتكب أفعالا منكرة، فهي قد خرجت عن شعور الثبات والاستقرار إلى التهور والاندفاع، مما أدى إلى متقل (ورد) زوجه الحبيب، كما يصور حرف الزاي المشدد في كلمة (حزَّ) نفسًا كمرجلٍ يغلي، إضافة إلى أن الكلمة نفسها بما قد تحدثه من قشعريرة في البدن من جرَّاء تصور الموقف، واختيارها دون غيرها من مترادفات القتل، يؤكد على عدم الثبات الانفعالي والنفسي عند دِيك الجِنِّ، والذي كان سببًا في ولادة تلك المقطوعة، فـ "كل عمل فني ينتج عن سبب نفسي، ويحتوي على سبب ظاهر، وآخر خافٍ مثله كالحلم، بمعنى آخر هو انعكاسٌ للمؤلف نفسه"[١]، ثم يعقب كل ذلك الفوران والغليان ظهور أَنَا الشاعر المضادة والمتصارعة، وهي الأنا الهادئة التي ينتابها الشعور المضاد، شعور الأسف والندم والحسرة، فنراه يقول على بحر الخفيف:

لَيْتَنَي لمْ أكـــــــنْ لِعَطْفِكِ نلتُ   وإلى ذلكَ الوصـالِ وصـــلتُ

قالَ ذو الجهلِ قد حلُمتَ ولا أعْلـ   ـمُ أنِّي حلُمْتُ حتـى جَـهلتُ

لائمٌ لـــــــــي بجهلهِ ولمــــاذا   أنا وحـــدي أحببتُ ثمَّ قتلتُ

سوفَ آسَى طـولَ الحياةِ وأبكيـ   ـكِ على ما فعلتِ لا ما فعلتُ[٢]

---

١ – بسَّام قطوس: دليل النظريَّة النقديَّة المعاصرة، ط١/ الكويت، سنة ٢٠٠٤م، ص ٥٠.

٢– الديوان، ص ٩٧–٩٨.

فقد زُلزل دِيك الجِنِّ من الداخل زلزلة شديدة؛ فكان غير مستقر داخليًا، وغير راضٍ عن نفسه، أو ما يقترفه من آثام، وهذا واضح في تردده في شعره وتذبذبه، فهو تارة يمينًا وتارة يسارًا، ومع كل هذا، تكون العقد النفسيَّة، فالشخص الذي يتحرك دائما ولا يستقر، وينتابه قلق داخلي، دون هدف ولا سبب، هو شخص مصاب بـ"الحمى النفسانيَّة" التي تقيم الشخص وتقعده، كما تقيمه الحمى الجسمانية وتقعده سواء بسواء[1]، وتحمل المقطوعتان تناقضًا غريبًا، ففيهما نجد الانتقام والغلّ، ثم نجد شعورا بالندم على القتل، فهو لن ينسى عطفها وبرَّها به، وسيظل طوال حياته آسفًا على فعلتها التي تهور من جرَّائها وقتلها، لا نادمًا على فعلته، فذاته معبَّأة بالتعارض والتناقض، ولا تثبت على ركيزة ثابتة، فالماضي مشحون بالثورة والتمرّد، والحاضر أشد قلقًا من الماضي، وهو ملئ بالتأسف والندم والحسرة، وقد جاءت مفرداته الشعريَّة معبرة عن هذا التناقض، سيما كلمتي "آسي وأبكيك"، وعن حالاته المزاجيَّة والشعوريَّة النافرة، ويشتد به الأسف والندم، فيجعله غير مستقر نفسيًا، فيجعل من أبياته متنفسًا لهذا الندم والأسف، حتى هو نفسه نراه يتعجب من أمره فنراه يقول على مجزوء الكامل:

تبكي وتقتلُ مَن تُحبُّ فَقَدْكَ من عَجَبٍ عَجيبِ[2]

هو نفسه يشعر بهذا الاضطراب النفسي الذي به، لكن لا أدري ما سر تقديم البكاء على القتل؟ فالمفترض أن يحدث العكس، ثم يقول على بحر الكامل:

فوحقِّ نعليهَا وما وطِئَ الحصىَ شيءٌ أعزُّ عليَّ من نعْلَيْها

ما كان قتليها لأنِّي لم أكـــــنْ أَبكي إذا سقطَ الذبابُ عليها

١- حلمي مراد: مركب النقص والعقد النفسية، ص ١١.

٢ –الديوان، ص ٨٥، وكلمة قدك: اسم فعل بمعنى يكفيك، الديوان، ص ٨٥.

لكن ضننتُ على العيونِ بحُسنها وأنفتُ من نظرِ الحسودِ إليها[١]

عشق شديد/ تهور/ قتل/ ندم وأسف، يذكر أنه يعشق حتى نعليها، وهو أحقر ما يرتدي المرء، وكان من الممكن أن يقول: "عينيها" –مثلا –بدلا من "نعليها"، ولكن الكلمة تعكس ما يضطرب في نفسه من صراع جرَّاء أسفه وندمه، ثم إنه يخشى عليها من سقوط الذباب، ليذكر في البيت الثالث أنه ما قتلها إلا أنفة من أن ينظر إليها حاسد أو حاقد، وكان قد ذكر سالفا أنها خائنة غادرة، لذا حزَّ رأسها، وقطّعه بالسيف، ألا يدل ذلك على نفس مضطربة متقلبة الأمزجة والطبائع؟! ونراه يقول على بحر الطويل:

فخرَّتْ كما خرَّتْ مهاةٌ أصابَها أخو قَنصٍ مُسْتعجِلٌ مُتَعسِّفُ[٢]

فهو يعود ويتذكر خيانتها ومشهد قتلها فتضطرب نفسه، فينعكس هذا على ألفاظه، فتخرج قوية، تعبر عن قلق وانفعال شديدين، فلننظر إلى تشديد الراء في كلمة "فخرَّت"، وتكرارها مرتين أيضا في نفس البيت، وهي تؤدى نفس المعنى الذي أدته كلمة (حزَّ) في الأبيات السابقة، وإيراد لفظة "متعسّف" عقب لفظة "مستعجل"، وكأنّها تعبر عن غلٍ ملأ النفس، وكلمة "مستعجل" نفسها توضح اندفاعه وتهوره الشديدين، وفشله في ضبط نفسه، كذلك تكرار حرف السين والصاد وما لهما من جرْسٍ موسيقى لافت للانتباه، ثم إن اختيار الشاعر لإيقاع بحر الطويل دلالة على انسجام حالته النفسيَّة مع هذا الإيقاع، الذي يتضمن مقاطع صوتية تمنحه فرصة التنفيس والإفصاح عن مكبوتاته النفسيَّة، وشحناته المُحرِقة، ثم نراه يعود في نفس القصيدة، وقد عاوده شعوره المضاد، وهو الأسف والندم والحسرة، فنراه يقول على الطويل أيضًا:

١– الديوان، ص ٢٩٠.

٢ – السابق، ص ١٧٦.

سيقتُلُني حزنًا عليها تأسُّفِي وهيهاتَ ما يُجدي عليَّ التَّأسُّفُ[١]

وقد صدق دِيك الجِنِّ في التعبير عن حاله، فاضطراب مشاعره، وتمرّد نفسه قد يودي به إلى الهاوية، وقد تعبَّأتْ نفسه بما يسمى بـ*(Quranic Thought)*، أي: الثنائيات الضديَّة، حيث "تجتمع في النفس البشرية ثنائيات ضديَّة يمكن عدّها كامنة في أغوار النفس الإنسانية...ويحدث أن يحاول طرف من الثنائية أن يشلَّ حركة الطرف الآخر"[٢]، فهما في صراع دائم، كل يحاول أن يتغلب على الآخر، ويظهر في الوعي عند الشاعر، وتنشأ الثنائية الضديَّة عند الشعراء من وجود شعورين مختلفين يوقظان الإحساس، واحد من هذين الشعورين فقط هو الذي يستثمر نظام الإدراك في الوعي، والثاني يظل في اللاوعي[٣]؛ لذا فإن دِيك الجِنِّ لا يفتأ يعاوده الشعور القابع في اللاوعي، ويوشك أن يفتك بنفسه، وقد عبر هو عن ذلك في قوله على بحر السريع:

ليسَ ذا الدَّمعُ دمعَ عيْني ولكنْ هيَ نفْسِي تُذيبُها أنفَاسِي[٤]

فلازال يعاوده الندم، فيصرخ معلنا أن ما نراه من دمع ليست دموعًا حقيقية، بل هي نفسه تذيبها أنفاسه الحارة حزنًا وأسفًا على (ورد)، فهو يعاني معاناة شديدة من ذلك الصراع الداخلي الذي ينتابه، حتى أوشك أن يمزق نفسه تمزيقا، فهي تذوب من ذلك الغليان والقلق والاضطراب الذي يشعر به، وهو تصوير جميل، إذ صوَّر نفسه وكأنها شيء صلب تذيبه حرارة الأنفاس، وما هذه الحرارة سوى المكبوتات النفسيَّة التي

١- الديوان ، ص ١٧٦.

٢- د.سمر الديوب: الثنائية الضديَّة "دراسات في الشعر العربي القديم"، ط/ منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب- دمشق، سنة ٢٠٠٩م، ص ٤.

٣ - جان كوهين: اللغة العليا- النظرية الشعرية، ت: د. أحمد درويش، ط/ المجلس الأعلى للثقافة- القاهرة، سنة ١٩٩٥م، ص ١٨٧.

٤- الديوان، ص ١٦٥.

تصطرع داخله، وهذه المكبوتات قد عبر عنها تعبيرًا يكشف كم المعاناة التي يعانيها، وكم التمزق النفسي داخله حين يقول عن نفسه على بحر الكامل:

غُصصٌ تكادُ تفيظُ منها نفسُهُ وتكادُ تُخرِجُ قلبَهُ من صدرهِ(١)

يعد هذا البيت من أكثر الأبيات التي يمكن أن نحلل بها شخصيَّة دِيك الجِنِّ تحليلا نفسيًّا، فالتَّحليل النفسي شكلٌ من أشكال تأويل النصّ، فالنص كثيرًا ما يحمل في طيَّاته مزيدًا من الدلالات، و "أن الكثير منها ما لم يُقل، أو ما قيل بشكلٍ غامض، وينبغي فهمه فيما وراء أو تحت سطح النص"(٢)، ففي البيت بوحٌ بكل أريحية عما يجيش في نفس الشاعر، ويعبر تعبيرا صادقا عما يحمله في نفسه من غُصص تكاد تخنقه، وقد وُفق توفيقا لا حد له في اختيار كلمات البوح: "غُصص– تفيظ –تُخرج قلبَه" فهي عبرت عن تصوير كم المعاناة التي يعانيها الشاعر، وتجعل القارئ يتعاطف مع شاعره، ويشفق عليه مما يعانيه، ثم نراه يقول على بحر الكامل:

مَنْ عاشَ فـــي الدُّنيا بغيرِ حبيبِ فحياتُهُ فيها حياةُ غـــريبِ

أو مـــا تَري الطَّيْريْنِ كيف تزاوجَا من غيرِ خاطبةٍ وغير خطيبِ

ما كانَ فـــــي حـورِ الجِنَّانِ لآدمٍ لوْ لمْ تكنْ حوَّاءُ من مرغوبِ

قدْ كانَ في الفردوسِ يشكو وحْشةً فيها ولم يأنسْ بغير حبيبِ(٣)

١– الديوان، ص ١٥١.

٢ – إمبرتوإيكو: التأويل والتأويل المفرط، ت: ناصر الحلواني، ط/ الهيئة العامة لقصور الثقافة– القاهرة، سنة ١٩٩٩م، ص ٥٤.

٣– الديوان، ص ٨٤.

فهو يرى أن المرء لا يمكن أن يعيش أبدا بدون حبيب، فحياته لا تصير حياة حقيقية بغير ذلك، فانظر حولك ترى كل شيء "تزاوج من غير خاطبة"، فآدم كان يشعر بالوحشة، وحرقة القلب على الرغم من وجوده في الجنَّة، ولم تأنس نفسه إلا بحبيب، وهي أبيات فيها طيف (ورد)، وتحمل حكمة، وعقلا راسخًا، وفيها دعوة للحب والألفة والأنس، وتعبر عن نفس مستقرة، وشاعر متزن، لكن سرعان ما تعاوده أَنَاه المضادة، الكامنة في لا وعيه، ومزاجه المتقلب مرة أخرى، فنراه يقول على بحر الطويل:

أخَا الرأي والتدبيرِ لا تركبِ الهوى فإنَّ الهَوى يُرْدِيك من حيثُ لا تَدْرِي

ولا تَثِقَنْ بالغَـــــانياتِ وإنْ وفتْ وفاءُ الغواني بالعهودِ منَ الغدرِ[1]

رأيٌ في المرأة يعكس ذاتًا محطّمة، وترسيبات في الأنا سيئة، وخبرات عن المرأة مريرة، وقد انقلب تمامًا من بعد دعوةٍ إلى الحب والأنس والألفة، فإذا به هو نفسه يصور النساء بأنهنَّ غُدَّرٌ، وليس لهنَّ أمان ولا عهد، ولا ثقة، وقد خرج عالم النفس ريموند كاتل(*Raymond Cattel*) بنظرية السمات الشخصيَّة، التي قسَّم فيها السمات إلى سلوكية وسيكولوجية، والاضطراب من هذه السمات، وهو أن يكون صاحبه غير مطمئن، ويخاف مما حوله[2]، وهذا ما يظهر جليًّا عند دِيك الجِنِّ.

أما إذا تركنا حادث مقتل (ورد) زوجه، وتتبعنا الشاعر، فإننا سنرى خوفًا شديدًا وقلقًا ينتابه دائمًا، ولا يكاد يفارقه، وسبب هذا هو تصور الشاعر واعتقاده الدائم أن شيئًا ما سيئًا سيحدث له، أو بمعنى أدق كان قلقًا من الدهر، فنراه دائم الترقب والحذر، مع خوف وقلق شديدين من أن فاجعة ما ستحلّ به، وقد وردت كلمتا "الدهر والزمان" في واحد وأربعين موضعًا في الديوان، وهذا يعكس فزعه الشديد من الدهر،

١- الديوان، ص ١٤٢.

٢ - فيصل عباس: الشخصيَّة في ضوء التحليل النفسي، ط/ بيروت، سنة ٢٠١٤م، ص ٢٨.

وقلقه الذي لا ينفك يعاوده، فالتوجس والخوف من الدهر والمستقبل "خلل أو اضطراب نفسي المنشأ، ينجم عن خبرات ماضية غير سارة، مع تشويه وتحريف إدراكي معرفي للواقع وللذات، من خلال استحضار للذكريات والخبرات الماضية غير السارة، وتجعل صاحبها في حالة من التوتر وعدم الأمن، مما قد يدفعه لتدمير الذات وتوقّع الكوارث، وتؤدي به إلى حالة من التشاؤم من المستقبل، وقلق من المشكلات المستقبليَّة المتوقعة"[١]، ولا ننسى العامل الوراثي فهو من الشعراء المولَّدين، ومعروف ما يحمله المولَّدون –كما ذكرتْ الدراسةُ آنفا– من قلق وتقلب وصفات وراثية متناقضة، ثم كثرة مدحه للعلويين، وهجائه للعباسيين، لاشك أن ذلك كان من عوامل خوف دِيك الجِنِّ، وتوجسه من المستقبل، فهو يتوقع غدرًا منهم في أي وقت، كما أن مقتله لورد زوجه جعله يخاف من بطش السلطان، فيروي أبو الفرج قائلا:" وبلغ السلطان الخبر فطلبه، فخرج إلى دمشق فأقام بها أيامًا، وكتب أحمد بن علي إلى أمير دمشق أن يُؤَمنه، وتحمّل عليه بإخوانه حتى يستوهبوا جنايته"[٢]؛ لذا فهو دائم الخوف من المجهول، مترقبا لنوائبه، ظانًا أنه ينصب له الشَّرك؛ ليوقعه فى حباله، فهو عدوه وإن كان هذا العدو غير مرئي له، لكن آثاره محسوسة، وقد تسلطت على نفسه هذه الأفكار فجعلته يعيش حالة من القلق والتوتر والخوف، وللقلق حضور مميز في الشعر عامةً، وقد حاولت القراءة النفسيَّة الحديثة مقاربة ظاهرة القلق، وأن سبب حضورها في نفس

---

١ – د. زينب شقير: مقياس قلق المستقبل، ط١/ الأنجلو المصرية– القاهرة، سنة ٢٠٠٥م، ص ٥.

٢– أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ج١٥، ص ٤٨.

الشاعر، يؤثر على النص الأدبي لاشك[١]، وهذا ما نراه عند شاعرنا، فهو دائما لا يأمن الدهر وأفعاله، يقول على بحر الخفيف:

يرقُدُ الناسُ آمنينَ وريبُ الدَّهـ ـرِ يرعاهُمُ بمُقلةِ لـــــصِّ

أنا أُحصي فيكَ النَّجومَ ولكنْ لذنوب الزَّمانِ لستُ بِمُحص[٢]

فالدهر عنده محض لصٍ، يتخطّف الناس الآمنين في مضاجعهم، فينقلهم من الحياة إلى الممات، واللص بحاجة إلى أن تكون يقظا دائما، قلقا من مباغتته لك، وأنت غافل عنه، وتشبيه الدهر بلصٍ يعكس قلق الشاعر، وترقبه لحوادثه، كمن يترقب دخول لصٍ منزله، وإحساس الشاعر بما ارتكبه من آثام وذنوب، كجريمة القتل، وشرب الخمر، وتمرده على ثوابت الدين، يسهم في شدة خوفه من الدهر، فربما يباغته الموت فجأة، ويقول –أيضًا– في الخوف من الدهر على بحر السريع:

والدَّهرُ لا يسلمُ من صَرفِهِ أَعصَمُ في القُنَّةِ مُسْتوعِلُ

والدَّهرُ لا يسلمُ من صَرفِهِ مُسربلٌ بالسَّردِ مُستبسِلُ [٣]

فالدهر لا يأمن صروفه ونوائبه أحد، حتى الوعل الجبلي، الذي يقطن قمة الجبل، أو الذي يتدرع منه بكل وسيلة، ويتسربل لا يأمن نوائبه، ولا يسلم من صروفه، وتكرار الشاعر لشطرتي البيت، وتأكيده على أن الدهر لا يسلم منه أحد، يدل على شدة قلقه وخوفه منه، وأنه لا ينفك عن ذكره، لأنه قد يباغته بداهيةٍ في أي وقت، والدهر والشيب متلازمان عند الشاعر، أحدهما: قد يصيبه بنائبة في أية لحظة، والثاني: نذير

---

١ – محمد بلوحي: آليات الخطاب النقدي العربي في مقاربة الشعر الجاهلي، ط/ اتحاد الكُتَّاب العرب– دمشق، سنة ٢٠٠٤م، ص ٦٤ (بتصرف).

٢– الديوان، ص ١٦٦.

٣– الديوان، ص ١٩٦–١٩٧.

الموت، فيمثل للشاعر قلقا من انتهاء لذائذه، فـ "اللاشعور أو العقل الباطن هو مستودع للرغبات والدوافع المكبوتة، التي تتفاعل في الأعماق بشكل متواصل، ولكن لا تطفو إلى مستوى الشعور إلا إذا توافرت لها الظروف المحفزة لظهورها"[١]، فظهور الشيب ليس إلا تعبيرا عن اللاوعي الفردي عند دِيك الجِنِّ، يقول على بحر السريع:

نهْنَهَتِ الخمسونَ من شدَّتِي وضيقتْ خطويَ بعـــــد اتَّساعِ

وأتحفتني خَورًا ظاهـــــرًا وكنتُ قبل الشيبِ عين الشُّجـــاعِ

أَنْسَأنِي الدهـــرُ ولمْ ينسني والموتُ قدْ يودي بمن في الرِّضاعِ[٢]

فالخمسون عامًا التي بلغها، قد أضعفت قوّته، وضيّقت خُطاه، وقرّبته من الموت، ثم يعود للدهر سبب ما فيه من قلق، فيرى أن الدهر قد أرجأه وأنسأه، لكن لم ينسه، فحتما الموت قادم، فهو لا يرحم حتى الطفل الرضيع، وبدلا من أن يسرع دِيك الجِنِّ بالتوبة من معاصيه، نراه يدعو إلى اللهو والعبث قبل انتهاء الأجل، أو أن يصاب المرء بحادثة تمنعه اللذة، فالمرء أسير حوادث الدهر، يقول على بحر الطويل:

تمتَّعْ من الدنيا فإنَّك فـــانِي وإنَّكَ في أيدي الحوادثِ عاني

ولا تُنظِرنَّ اليومَ لهوًا إلى غدٍ ومن لغدٍ مِن حادثٍ بأمـــانِ

فأمَّا الذي يمضي فأحلامُ نائم وأمَّا الذي يبْقـى له فأمَانِي[٣]

١- د. صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، ط/ دار الآفاق العربية- القاهرة، سنة ١٩٩٦، ص ٦٤-٦٥.

٢ - الديوان، ص ١٦٩.

٣ - السابق، ص ٢٨٧.

فبدلا من الإسراع إلى التوبة، يدعو الشاعر إلى الإقبال على الدنيا، والتلذذ بما فيها، فقد يباغته الموت فجأة، وما ذلك إلا نتيجة لشكِّه في وجود الآخرة، ويبدو أن شاعرنا اطلع على الفلسفة اليونانيَّة وعلم الكلام، فرائحة الزندقة الفكرية تفوح من الأبيات.

المحور الثالث: مظاهرُ النِّفَار الديني

تبدّلت كثيرٌ من القيم أثناء العصر العبَّاسي، وبرز العنصر الأجنبي، الذي عمل على نشر الزندقة والشعوبية في أرجاء الدولة العباسيَّة، وعمل على إضعاف الدين في النفوس، وانشغل عنهم الحكّام والولاة بتثبيت ملكهم، وظهرت مجموعة من الشعراء لاهية عابثة، تجاهر بالذنوب والمعاصي، وقد وصف طه حسين هذا العصر قائلا: "إنه عصر شك ومجون، وأن الناس كانوا فيه أحرارًا، لا يكادون يأخذون أنفسهم في اللهو بخلق ولا دين"[1]، كما زاد نفوذ الفرس السياسي، وقويت شوكتهم، حتى جهر كثير من شعرائهم –خاصة المولَّدين– بأفعال مشينة، دون رادع يردعهم، وظهر نِفارهم جليًّا، وكان أخطر ما في هذا النِّفَار، ما يتعلق بالدين، ودِيك الجِنِّ لم يكن بعيدًا عن هذا، فهو ابن عصره وربيبه، إضافة إلى ما فيه من شك وقلق واضطراب، وأَثَرُ كل هذه العوامل مجتمعة، أمر طبيعي أن يؤدي إلى الشك في ثوابت الدين، مع شخصٍ كدِيك الجِنِّ الحِمْصي، والمطّلع على شعره يصطدم بعشرات الأبيات التي يجده فيها نافرًا من الدين، وشاكًّا في العقائد التي لا يجوز المساس بها، أو حتى الدنو منها، ومن ذلك قوله على بحر الخفيف:

أنا مَالي وللصِّيام وقدْ حَـــا نَ على المسلمينَ شهرُ الصِّيامِ

تاركًا للجهادِ والحجِّ والـــعُمـ ـرةِ والحلِّ راغبًا في الحـــــــرامِ

---

١ – د. طه حسين: حديث الأربعاء، ط١٥/ دار المعارف، سنة ٢٠٠٣م، ج٢، ص ٤٤.

واسْقني يا أخا المدامةِ كأسًا منكَ ممزوجةً بماء الغَمـــــامِ

واقفًا بين فتكةٍ ومـــــجونٍ راقصًا فـــي الصلاةِ خلفَ الإمامِ

أنَا لا أطلبُ الحلالَ لأنِّـــــي قدْ وجدتُ الحرامَ خيرَ طـــــعامِ

قدْ غنينا بالرطلِ عن كلِّ حقٍّ فلهذا الشَّيطانُ يَرْعَى ذِمَامِي[١]

نِفارٌ ديني واضح، واستخفافٌ بأركان الدين من: صلاة وصوم وحج وجهاد، وفوق كل ذلك بغض للحلال، وحب للحرام، واستلذاذ به، وقد استغنى بشرب الخمر الممزوجة بالماء البارد عن كل هذه الثوابت، حتى صار الشيطان صديقه الذي يقود ذِمامه، فالصوم يمنعه لذة الخمر، ولذة الحياة ومتعها، والحج والجهاد يكلفانه ما لا يطيق، وكل هذه العبادات تتعارض مع مجونه وفسقه، وقد ظهر الاستهزاء في تصويره لحركات الصلاة من سجود وركوع بالرقص خلف الإمام، ذاكرًا في البيت الأول أن الصيام قد حان على المسلمين، وكأنه ينتمي إلى أمةٍ أخرى، أما التكرار مؤكدًا رغبته في الحرام في البيت الثاني، والبيت ما قبل الأخير، يوضح مدى إصراره على أفعاله، ويأتي بأسلوب النفي "مالي وللصيام– لا أطلب الحلال" ليؤكد عدم اكتراثه بالدين وثوابته، كما يستغل التضاد في نِفاره من الدين، ألا يدل ذلك على تناقض في حالات الشعور، وإحساس بالاضطراب؟ وهوما جعله أيضًا يصرخ بأعلى صوته أنه يحب الحرام، دون خوف أو حياء، وكأنه يتحدَّى المجتمع المسلم، الذي يعيش فيه، ومن المؤكد أن هذا منهجه، وقد أوضحه في أكثر من موضع، حيث يقول على بحر الكامل:

أمَّا الحرامُ فإنهُ لي صاحبٌ وإليهِ فِيَّ الأمرُ والأحكامُ[٢]

١– الديوان، ص ٢٣٣.

٢– السابق، ص ٢٢٥.

فهو قد اتخذ الحرام منهجًا ومسلكًا هو سالكه في حياته، دون خوف ولا وجل ولا حياء، ويبدو أن دِيك الجِنِّ كان يعادي الصوم عداءً شديدًا، ويبغضه بغضًا أشد، فهو لا شك مانعه من لذائذ الحرام، ومضيق عليه سبل المتعة، ومن شدة كرهه للصيام، كره يومي الاثنين والخميس؛ لأنهما يذكرانه بالصوم، يقول على بحر الكامل:

صبًّا عليَّ الرَّاح إنِّ هِـــــلالنَا قدْ صبَّ نعمتَهُ على الثَّقَلينِ

لازالَ من بغضِ الصِّيام مبغَّضًا يومُ الخميسِ إليَّ والاثنينِ[1]

استهتارٌ في القول، واستهتار في الفعل، دون مبالاة، ولا شعور بالذنب، ويبدو من الأبيات أن شاعرنا يستقبل شهر رمضان المعظّم بالعبِّ من الراح، متحديًا بكل سفور وفجور هذا الشهر المبارك، الذي بدا هلاله للإنس والجِنِّ، وقد يصل الحد بدِيك الجِنِّ إلى إنكار اليوم الآخر، والشك فيه، وعدم التصديق بالبعث والنشور، وهذا قمة التمرد على الدين، يقول على بحر الوافر:

هيَ الدنيا وقد نعِمُوا بأخـرْى وتسويفُ النُّفُوسِ من السَّوافِ

فإنْ كذَبوا أمنتَ وإنْ أصَابُوا فإنَّ المبتليكَ هوَ المـــــُعافِي

وأصدقُ ما أبُثُّكَ أنَّ قَـــــلْبِي بتصديقِ القيامةِ غيرُ صافِي[2]

إنّه يسخر من هؤلاء الذين يرون أن هناك حياة أخرى غير هذه الحياة، وقد سوَّفوا التمتع بحياتهم على أمل الحياة الأخرى التي يأملونها، وتسويفهم هذا فيه هلاكهم، إذ لا حياة بعد هذه الحياة، فإن كذبوا فقد صدق حدسي ونجيت، وإن صدقوا فإن الذي ابتلاني هو الذي سيعافيني، لكن الشاعر يعلن بكل صدق في البيت الأخير أن الشك

---

١ – الديوان، ص ٢٣٩.

٢ – السابق، ص ١٧٨.

يخامر قلبه من وجود يوم القيامة، وقد ورد في حاشية الديوان أن "تمزقا شديدا أصاب هذه القصيدة المشهورة...وقد سأله الأمير عنها، فقال الدِيك: إنما كنت أتلاعب بذلك، ولم أكن أعتقده"(١)، وبالرغم من قوله ذلك، سواء صدقتْ الرواية أم كذبتْ، وأظنّها كاذبة؛ لأنه يؤكد على ذلك الشك في أكثر من موضع في شعره، وكلها تحمل نفس هذه الفكرة، فكرة الشك في اليوم الآخر، وإنكار وجوده، يقول على بحر الوافر:

أَأَتْرُكُ لذَّةَ الصهباءِ عمدًا لِمَا وعدُوهُ من لبنٍ وخمْرٍ

حياةٌ ثم مـــوتٌ ثم بعثٌ حديثُ خرافةٍ يا أمَّ عمروِ(٢)

قمة الشك والإنكار والعبث بثوابت العقيدة، وقمة الحِران الديني، فهو ينكر الموت والبعث، وكل ذلك خرافة من وجهة نظره، وقد راح يصدح بذلك، ويجاهر به على الملأ، وقد بدأ دِيك الجِنِّ مقطوعته بأسلوب استفهام استنكاري؛ ليعبر عن قلق نفس مضطربة خائفة من ترك الخمر ولذتها، ليبدأ في البيت الثاني بأسلوب خبري، وما به من صيغ نكرة "حياةٌ- موتٌ- بعثٌ"، وهي مفردات تتوافق بما تحمله من إبهام وتعميم مع شك الشاعر ورفضه، ويصل به التهتّك بأن راح يربط بين طيب مذاق محبوبه الذي يتغزل به، وبين شهادته بأن الله ربه، يقول على بحر الكامل:

بِأبي فمٌ شهِدَ الضميرُ لهُ قبلَ المذاقِ بأنهُ عذبُ

كشهادتِي لله خـالـــصةً قبلَ العِيانِ بأنّه ربٌّ(٣)

---

١ – الديوان، ص ١٧٩.

٢– السابق، ص ٢٧٢.

٣ – السابق، ص ٢٥٢.

بونٌ شاسعٌ بين التشبيهين، وربطٌ عجيب من شاعر مضطرب نفسيًا، لا يبالي بشيء، ولا شك أن تركيب الصورة يشعرنا بالتهكم والاستهتار، حيث يجمع بين موقفين متضادين، أحدهما يوحي بالمجون، والآخر يوحي بالتقديس والجلال، وقد يصل به الأمر أن يضفي صفات الله على ممدوحيه، المتشيّع لهم، إذ نراه يقول معزيًّا جعفر بن علي الهاشمي على بحر السريع:

وأنتَ عـلَّامُ غيوبِ النَّثَـا   يومًا إذا نَسْألُ أو نُسْأَلُ

نحنُ نعزِّيكَ ومنكَ الهدى   مُسْتخرَجٌ والنُّورُ مُسْتَقبَلُ[1]

فهو يعلم الغيب، وما انتشر من أخبار بين الناس، وهو نبع الهدى والنور، وكلها صفات تتعلق بذات الله سبحانه، قد أضفاها الشاعر على ممدوحه، ثم نراه وقد انفعل حينما نصحه ناصح، وقد علاه الشيب بأن يتوب عن المعاصي، ويقلع عن شرب الخمر، فيصرخ فيه محللا شربها، وأنها حلال لا حرمة فيها، وكأنه يعانده ويتحداه، ويذكره بأن غوي مبين، لمجرد أن نصحه، يقول على بحر الوافر:

يحرِّمُ شربَها غاوٍ رآني   أخا شَيْبٍ، فقلتُ: الآنَ حلَّا[2]

فالخمر وإن كانت محرمة، فهي الآن قد صارت حلالا لي، تحدٍ واضح، ثم لا يلبث أن تعاوده أناه الهادئة، فيعود إليه عقله ورشده، ونراه يعود، ويستغفر الله عن كل ما ارتكب من ذنوب، ويرجِّع ذلك كله للسكر، يقول على بحر الرجز:

أستغفرُ اللهَ لذنْبي كلِّـهْ   قتلتُ إنسانًا بغيرِ حـلِّهْ

---

١ – الديوان، ص ١٩٨.

٢– السابق، ص ١٨٩.

وانْصرَمَ الليلُ ولمْ أصلِّهْ والسُّكرُ مفتاحٌ لهذا كلِّهْ[1]

فهو يعترف الآن بأنه قتل إنسانًا –ومن المؤكد أنها (ورد) زوجه، إذ لم يرد في سيرته أنه ارتكب جريمة قتل غير تلك– ظلمًا وعدوانًا، وأنه يستغفر الله على عدم صلاته، دون أن يستغفر الله عن شربه للخمر، ولا عن غلمانياته، إلا أنه أرجع كل هذه الأفعال إلى السُّكر، الذي ما أقلع عنه لحظة، لكنه تقلب المزاج واضطرابه، الذي عهدناه عنه.

المحور الرابع: مظاهرُ النِّفَار الاجتماعي

انعكستْ الاضطراباتُ النفسيَّة التي كان يعاني منها دِيك الجِنِّ على قيمه الاجتماعيَّة وعاداته –أيضا– فولّدتْ عنده نِفارًا اجتماعيًا، وكان من مظاهر ذلك أن جاهر علانية بكل ذنب ومعصية، وصار يعبُّ علانيةً من الخمر عبًّا، ويدعو إلى ممارسة الشذوذ، ويفضل الغلام على المرأة، ويصرح بذلك في حديثه، في مجتمع – لاشك– ساعده على ذلك، فقد شاع الأمر كما هو معروف لكل دارس في العصر العبَّاسيّ شيوعًا غريبًا، وقد نفر دِيك الجِنِّ من هذا المجتمع، فاعتزله، وتمرّد على كل ما يعتبر قيمة فيه، وأول ما يقابلنا من نِفاره الاجتماعي، دعوته للخروج على نظام المجتمع واستقراره، ودعوته بأنّ على المرء ألا يخضع للزمان إذا قدَّر له ضيق الحال، بل لا بد من جوب البلاد، بسهولها وجبالها؛ طلبا للرزق، وهذه دعوة منطقية، فيها حث على كسب الرزق، ولكن ليس دِيك الجِنِّ الذي يكتفي بذلك، بل لابد من ظهور أَنَاه المتهورة والنزقة باندفاعها المعهود، فهو يدعو إلى امتشاق الحسام، وطلب الرزق بحد السيف، وإلا مات المرء هزيلا، وفي هذه الدعوة خروج على المجتمع الآمن،

١– الديوان، ص ٢٠٥.

وخلق لفئة من قُطَّاع الطرق، وقد هجر الشاعر هذا المجتمع، ويراه لا يكفل فقيرًا ولا يعين محتاجًا، لأن الكرماء من الناس قد ذهبوا، يقول على بحر الخفيف:

لا تقفْ للزمانِ فـــي منزلِ الضَّيـْ ـمِ ولا تستكنْ لرقَّةِ حـــالِ

أينَ جوبُ البلادِ شرقًا وغـــــربًا واعتسافُ السُّهولِ والأجبَالِ

ذهبَ النَّاسُ فاطلبِ الرزقَ بالسِّيـْ ـفِ وإلا فمتْ شديدَ الهُزَالِ[1]

والدعوة إلى أسلوب الصعاليك وطريقتهم في الخروج على مجتمعاتهم واضحة، وهي دعوة صريحة للسلب والنهب بحد السيف، تتواءم مع نفسه النافرة، التي تغلي كمرجلٍ، وقد رأيناه آنفا وقد أسقط طريقة الصعاليك على نفسه، بأن الشنفري والسّليك –أشهر الصعاليك في العصر الجاهلي– أطفال رُضَّع مقارنة به، فلا نعجب من هذه الدعوة الغريبة، التي تعكس حِرانه النفسي والاجتماعي، وأنه صاحب نفسٍ قلقة، لا ترضى بالاستقرار والهدوء، وإن خالف ذلك حتى الشرائع السماويَّة، ففي أعماق كل كائن بشري رغبات مكبوتة، تبحث دومًا عن الإشباع في مجتمع قد لا يتيح لها ذلك، ولما كان صعبًا إخماد هذه الحرائق المشتعلة في اللاشعور، فإنه يضطر إلى إشباعها بكيفيات مختلفة[2].

ومن مظاهر نِفاره الاجتماعي –أيضًا– دعوته إلى خيانة الزوجة، والزنا إن أمكن، واتِّهام المرأة في مجتمعه بالخيانة والكذب والخداع، والمرأة من وجهة نظره للمتعة فقط، وهذه لا شك دعوى شخص يعاني من أمراض نفسية معقدة، وعُقَد نقص مركبة، تؤدي إلى نتائج كارثية، كتدمير الأسرة، ومن بعدها المجتمع، وربما يكون دِيك الجِنِّ قد نظم هذه المقطوعة بعد اتهامه لزوجه (ورد) بالخيانة، كرد فعل سريع، من

---

١ – الديوان، ص ٢٠٨.

٢– يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، ط٢/ بيروت، سنة ٢٠٠٩م، ص ٢١.

شخص متهور مندفع، فأمر طبيعي أن يفقد الثقة في كل النساء، ويتهمهنّ جميعًا بالخيانة، فضلا عن أن الإدمان قد يحوِّل الحب إلى بغض شديد، وبسرعة، ويولد أيضًا ما يسمى بثنائية العواطف[١]، كما أن من صفات الإنسان النافر والمتمرّد "تجاوز ذاته إلى الآخرين"[٢]، وهذا ما نراه دائما من دِيك الجِنِّ، يقول بحر الطويل:

تمتَّعْ بها ما ساعَفتَكَ ولا تكـــنْ جزوعًا إذا بانتْ فسوفَ تبينُ

وخُنْها وإن كانتْ تفِي لك إنَّـــها على مَدَدِ الأيامِ سوفَ تخونُ

وإنْ هيَ أعطتْكَ اللَّيانَ فإنِّـــها لآخرَ من طُلَّابهـــا ستَلينُ

وإنْ أسبلتْ يومَ الفراقِ دموعَـها فليسَ لـعمرُ الله ذاكَ يقينُ[٣]

فالمرأة من وجهة نظره ما خُلقت إلا للمتعة، وهي دائمة الخيانة، حتى وإن ظننتها وفيَّةً فستخون يومًا ما، فلا تنخدع ببكائها ولينها، وهذه نظرة شاذة، من شخصٍ مضطرب شكَّاك، وتتضح مظاهر خروجه على عادات المجتمع وقيمه –أيضا– في معاقرته الخمر، والإكثار من ذكرها في شعره، والشاعر حينما يكون نافرًا ومتقلبًا، يولِّد ذلك عنده حالة من الإحباط، قد تصل إلى مستوى القنوط واليأس، فيبحث عن مهرب وملاذ[٤]، وقد كان دِيك الجِنِّ كغيره من الشعراء غير المتَّزنين نفسيًا، يجدون في الخمر ومعاقرتها مهربًا وملاذا من كل شيء، فيذكر علماء النفس أن هناك أشخاصًا "يستولي عليهم الشعور بالفشل والعجز، وتتلاشى ثقتهم بأنفسهم تماما، فلا يجدون لهم

---

١ – سعد مغربي: ظاهرة تعاطي الحشيش، ط/ دار المعارف– مصر، سنة ١٩٩٨م، ص ٤١٩.

٢ – ألبير كامو: الإنسان المتمرّد، ص ٢٢.

٣ – الديوان، ص ٢٨٥.

٤ – د. قيس النورى: الأنثروبولوجيا النفسية، ط/ بغداد، سنة ١٩٩٠م، ص ٤٣٨.

ملاذا إلا الهرب من الواقع المؤلم، ولا يتسنَّى ذلك الهرب إلا عن طريق شاذ ومرضي، مثل: إدمان الخمر!"[١]، وقد كان دِيك الجِنِّ ناقمًا على نفسه، وعلى مجتمعه، وعلى كل شيء، فوجد في الخمر مبتغاه، فراح يعبُّ منها عبًّا، ويجد فيها متنفسه وسلوته، ويخرج فيها كل مكبوتاته النفسيَّة، وما يعتريه من قلق واضطراب، وتضارب في الأحاسيس والمشاعر، وتقلب في المزاج، فالخمر عنده تمثل هروبًا من واقعه الذي يعيشه، وهروبًا مما يعتور في نفسه من قلق وهمٍّ، يقول على بحر الطويل:

ألا إسْقِنيها صَاحِبي وخَلِيلـــي شَمُولًا وهلْ أحيا بغيرِ شَمُولِ

جَعَلتُ دواءَ الــهمِّ كأسًا ورُبَّما أَرتني جميلًا كانَ غيرَ جــميلِ

إذا أشرفت منَّا الهمومُ طوالعًا تَنَادينَ من صدرِ الفتى بِرحيلِ[٢]

تتحول نفس المدمن من الاكتئاب والعجز والتوتر الناشئ عن تأنيب الضمير إلى إحساس بالخلود والقدرة المطلقة، والشعور بأن ذاته أصبحتْ مركز العالم، ويسود شعورٌ جارف بالمحبة والمرح[٣]، والخمر عنده دواءٌ من الهم والغم والقلق، والكأس علاجٌ ناجعٌ لما يعتريه من اضطرابات نفسيَّة، وهي مهربه وملاذه، يرى بها كل ما هو قبيح جميلا، وينسى معها كل ما يجلب له الغم، وإذا ثقلت عليه مظاهر القلق، واضطربت عليه مكنوناته النفسيَّة، يحتسي الخمر الشمول، فإذا بهذه المكنونات تنادي بعضها بعضًا بالرحيل من صدر دِيك الجِنِّ، وهي استعارة رائعة في تشخيصه تلك الهموم وأنسنتها، ذلك أن الخمر بالنسبة للشعراء أمثال دِيك الجِنِّ "تطلق العنان للمكبوتات تحت تأثير التخدير الوقتي، فيتنفس الشعراء بعض ما تجمع في (الخراج

---

١ – حلمى مراد: مركب النقص والعقد النفسية، ص ١٠.

٢– الديوان، ص ٢٠٢.

٣ – عفاف عبدالمنعم: الإدمان دراسة نفسيَّة لأسبابه ونتائجه، ص ٧٨ (بتصرف).

النفسانى) من القيح والصديد الذي ثقل عليه، وكم شخص يبدو ذليلا حتى إذا شرب وانتشى صار متفتح النفس للفكاهة، جريئا، بل إنه قد يصل في الجرأة حد السلاطة والعدوان"[١]، ويدعو إلى شرب الخمر باكرًا، حتى لا يعطي فرصة للقلق أن يسيطر عليه باقي يومه، يقول مجزوء الكامل:

بَاكِرْ صبوحَكَ بالَّتـــــي تَنفى همُومكَ والفِكَرْ

خذْ منْ زمانكَ ما صَفا ودعْ الذى فيه الكَدَرْ

فالعمرُ أقصرُ من مــعا تَبَةِ الزمانِ على الغِيرْ[٢]

وهنا تبرز جماليَّات الخمر عند دِيك الجِنِّ في قدرتها على بعث الاستقرار النفسي لديه، وطرد الهموم والأفكار السيئة عنه، وترسيخ قدرة الأنا عنده على العيش دون قلق، وعلى الحياة دون خوف مما يحيط به، وبها يتخلص من الرقابة الخارجيَّة المتمثلة في المجتمع، ومن الرقابة الداخليَّة المتمثلة في مكنوناته النفسيَّة، ويتحرر من ذاته بمعاقرة الخمر، كي يصل إلى الراحة، وإن كانت الراحة والخلاص–من وجهة نظر دِيك الجِنِّ– لن تتأتَّى إلا بمواصلة شرب الخمر دون انقطاع، يقول على بحر البسيط:

واصلْ مدامكَ واهجُرْ قالةَ النَّاسِ ورحْ إلى صدرِ مَلْهى خيرِ جُلَّاسِ

إلى ثِمارِ سرورٍ فــي ثَرَى قَدَحٍ فــي فِتيةٍ غُررٍ ليْسوا بأنْكاسِ[٣]

١– حلمي مراد: مركب النقص والعقد النفسيَّة، ص ١٠.

٢– الديوان، ص ٢٦٨.

٣– السابق، ص ١٥٩.

فهو يدعو إلى مواصلة معاقرة الخمر كي ينسى، ويدعو إلى هجرة الناس والمجتمع الذي يفر منه، إلى حيث الراحة النفسيَّة والاستقرار والسرور، وكل ذلك يكمن في أقداح الخمر، وسط فتيةٍ بيض، يتبادلون الأقداح في لهوٍ ومرح، فيجدون الفرح والأنس والسرور، فهي تطهّر ذاته من القلق والتوتر الملازمين له، إلى نشوة الحياة، وهي أيضا تحرره من دواخله النفسيَّة، وتجلب له التألق مع واقعه، وتحقيق سعادته الضائعة؛ لذا نراه يجهد نفسه في الإقبال عليها لا شعوريا، وقد أكثر الشاعر من تكرار حرف السين والصاد؛ ليضفي جرسًا موسيقيًا يتناسب مع السرور الذي يدعو إليه بمعاقرة الخمر، ومادامت الخمر تجلب له الأنس والسرور وتزيل عنه الهمَّ والغمَّ، فسيمضي وراء الجري خلفها غير عابئٍ بلوم اللائمين، يقول على بحر الطويل:

فما العيشُ إلا أنْ أفوزَ بسَكْرةٍ وما الغبنُ إلا أنْ يُقال صَحيحُ

سأجمعُ في حبِّ البطالةِ والصِّبا وإنْ لامَ فيه عازلٌ ونصيحُ[1]

فحياته الحقيقية في أن يظل مغيب العقل من أثر الخمر، ولا ينقطع عن شربها أبدًا، مهما انتبذه مجتمعه، فخسارته الشديدة في تجنبها، مادام فيها الراحة والأنس، والبيت الأول قد تناصّ فيه دِيك الجِنِّ مع شاعر الخمر الأول: الحسن بن هانئ، الذي يقول:

فمَا الغَبْنُ إلا أن تَرانِى صَاحيَا وما الغُنمُ إلا أن يُتَعتِعنِى السّكرُ[2]

فكلاهما يرى أن العيش دون معاقرة الخمر غبنٌ وخسارةٌ، وكلاهما يرى في الخمر مهربًا وملاذًا، وفي مقطوعة جميلة توضح عشقه الشديد للخمر يصف فيها تساقط الندماء على الأرض بعد أن صرعتهم الخمر بتأثيرها، فياحبذا وهم أموات، وياحبذا هذا

١- الديوان، ص ١٠٦.

٢ - أبو نواس: الديوان، ط/ دار صادر- بيروت، سنة ٢٠٠٤م، ص ٢٤٢.

الموت الناجم من تلك الخمر، موت يتنافس عليه الملوك، ويبذلون مالهم في الحصول عليه، يقول على بحر الكامل:

فتراهُمُ صَرعى وقــد صعقتُهمُ بكُوُسها في عدَّة الأمــواتِ

يا حبَّذا همْ ميِّتينَ وحـــــبَّذا ذاكَ المَمَاتُ لهمْ فخيرُ مماتِ

موتٌ تنافسُهُ الملـوكُ ويُشْتَري بعقائلٍ تُلْدٍ ومـــــــطَّرفَاتِ

موتُ أعزُّ مــن الحياةِ عليهُمُ وألذُّ في الأفواهِ واللَّــهواتِ[1]

لا يتحدث عن الخمر بهذه الطريقة، وهذا العشق الشديد، سوى شاعر يرى فيها علاجًا ناجعًا لمعاناته النفسيَّة، وملاذًا يلوذ إليه من مجتمع يؤذيه، ويتأذى منه، فهي متنفَّسه الوحيد من همومه وغمومه واضطراباته، التي لا تنقطع، لدرجة أنه يرى أن أفضل ميتة تلك التي تموت فيها سكرانًا، وهناك مقطوعات كثيرة جدًا في الديوان عن الخمر، يتحدث فيها الشاعر عن تأثيرها، لونها، طعمها، مجالسها...، وكلها تصور لنا حب دِيك الجِنِّ للخمر حبًّا جمًّا، ولكن حبًا ليس من نوع الحب لشراب لذيذ، كما نفعل نحن إزاء شراب نحبه، بل الخمر عند دِيك الجِنِّ راحة نفسية وتفريج لهمومه وغمومه، وسكن يلجأ إليه فترتاح له نفسه، ومهرب يهرب إليه من نبذ مجتمعه له، فهي إذن بمثابة جرعة من الدواء النفسي الناجع لنفس قلقة مضطربة، يصرعها الشك.

وإذا تركنا خمريّات دِيك الجِنِّ وعرَّجنا إلى شذوذه الجِنِّسيّ، رأيناه وقد وقع تحت سطوة الاستهواء، وأثر عليه وجدانيًا، في تغزله بالغلمان، والاستهواء أو المحاكاة الوجدانيَّة هي قابلية الفرد للمحاكاة سلبيًا من المجتمع المندمج فيه، وتظهر آثاره في المجال العقلي والسلوكي والوجداني، بأن تدفع الفرد للقيام باتخاذ أوضاع واتجاهات

١- الديوان، ص ١٠١.

معاكسه لفكره[1]، وقد خرج على قيم مجتمعه في التصريح علانية بحبه للغلمان في مقطوعات –جاء معظمها– ليست كما عهدنا في غلمانيات الشعراء الذين تعشقوا الغلمان –بأن معظمها ينفلت من بين الشفتين انفلاتا، دون أن تصدر من بين الضلوع– بل مقطوعات يتضح فيها تمامًا نزقه وتهوره، وأنه إنسان ليس طبيعيًا، بل إنسان يعاني نفسيًا، صاحب أَنَا مضطربة شاذة، لا تعي ما تقول أو تفعل، ومن ذلك تلك المقطوعة التي يصور فيها نفسًا غريبة، يقول على مجزوء الرمل:

حدٌّ ما يُنكحُ عـــــنْدي حَـــيَوانٌ فيه روحُ

أَنا من قولِـــــي مـليحٌ أو قبيحٌ مـــــستريحُ

كلُّ مَنْ يَمشى على وجْـ ـهِ الثَّرى عندي مليحُ[2]

هل ينطق بهذه الأبيات سوى شاعر غير متزن نفسيًا، أو فاجر بلغ به الفجور حدَّه، خاصة وأنه يعيش في مجتمع إسلامي، ينكر مثل هذه الأفعال، فهو يستطيب نكاح كل مخلوق على ظهر الأرض فيه روح، لا فرق عنده بين إنسان أو حيوان، ولا تشترط الملاحة والجمال فيمن ينكحه؛ لذا فهو مطمئن من هذا الجانب، وأراح نفسه من المقارنة بين القبيح والجميل، والمُرد والشيَّب، فكل ما يدب على الأرض مليح، يستطيب نكاحه، أليستْ هي نفس الأنا التي رأيناها تبكي وتتأوه على مقتل (ورد) زوجه، وأنه يعشق حتى نعليها؟! ولا يمكن أن نبرر قول الشاعر بأن هذا من باب المشاركة في موجة المجون التي كانت شائعة في العصر العبَّاسيّ، إلا إذا ألغينا عقولنا، فالشاعر فعلا كان يحب الشذوذ "فاللاوعي أو الشعور هو المخزن الخلفي

---

١ – يوسف مراد: مبادئ علم النفس العام، ط٨/ دار المعارف– مصر، سنة ١٩٩٢م، ص ١١٢.

٢– الديوان، ص ١٠٧.

للظاهرة...، واعتباره متضمنا للعوامل الفعّالة في السلوك وفي الإبداع وفي الإنتاج"[١]، فهو على استعداد أن ينكح حتى البهائم، ويبدو أن هذا مبدأه؛ لأننا نراه يؤكد على هذا المبدأ الشاذ، حيث يقول في بيتين آخرين معلنا ذلك دون خجل ولا حياء من مجتمعه على بحر الخفيف:

أعشقُ المردَ والنَّكَاريشَ والشَّيـ ـبَ وعندي مثلُ البنينَ والبناتُ

حدٌّ ما يُشتهي ويُعشق عندي حيوانٌ تحلُّ فيهِ الحـــــياةُ[٢]

فهو يعشق المُرد وذوي اللحى الجميلة الخفيفة، وحتى العجائز، ولا فرق عنده بين البنين والبنات، فهو ينكح حتى الحيوان، طالما أن فيه روحًا، وأنه يدبّ على الأرض، ولا يمكن تبرير ذلك إلا نتيجة للاضطراب النفسي الذي يعاني منه، مما جعل هذه الاستجابة تعكس دواخله النفسيَّة، وقد أكد أوجين فيرون –في أول عرض منهجي للنظرية الانفعالية– "أن العمل الفني يجسد استجابة الفنان النفسيَّة لموضوع معين، غير أن هذه الاستجابة ليست انفعاليَّة فحسب، إنما تشمل أفكاره وأحاسيسه[٣]"، ودِيك الجِنِّ –أيضًا– من الشعراء المولَّدين الذين سرت في عروقهم دماءٌ فارسيَّة، "وهذا الأمر غريزة عند الفرس، وما ظنك بقوم اشتهر هذا عنهم منذ ألفي سنة ونيّف، لقد أحلها نبيهم ماني منذ ألف سنة ونيف، وتحليل ماني لها دليل على أنها أقدم من ماني، فما الشرائع الوضعية إلا من روح المجتمع، بل إن الشرائع السماوية لتحسب

---

١ – د. صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، ص ٦٤.

٢ – الديوان، ص ٩٩.

٣ – جيروم ستولنيتز: النقد الفني، ت: فؤاد زكريا، ط٤/ الهيئة العامة للكتاب– مصر، سنة ٢٠٠٢م، ص ٢٦٨.

لذلك حسابًا، ثم لا يزالون مشتهرين به"[١]، وقد اعتمد الشاعر في هذين البيتين على الأسلوب الخبري، الذي يعكس عكوفه المستمر على ارتكاب الآثام، مكثرًا من الأفعال المضارعة، ليؤكد على استمراره في مجونه، ثم نجده برغم الحب الشديد لزوجه (ورد)، يفاجئنا مزاجه المتقلب دومًا، بعشق غلام يسمى بكر بن دهمرد، ويصرح بذلك علانية، متغزلا به في أكثر من مقطوعة في ديوانه، وكأن لا مكان عنده لأحد في قلبه غيره، يقول أبو الفرج: "وكان دِيك الجِنِّ يهوى غلامًا من أهل حمص يقال له بكر..."[٢]، وفيه يقول على بحر الطويل:

دعِ البدرَ فليـــــــغربْ فأنتَ لنا بدرُ إذا ما تجلَّى منْ محاسِنكَ الفـــــجرُ

ولو قيلَ لي: قمْ فادعُ أحسنَ مَن ترى لصحتُ بأعلى الصوتِ يا بكرُ يا بكرُ[٣]

أبياتٌ غزليَّةٌ رقيقةٌ عذبةٌ، تدل على تقلب في المزاج والطباع، وفيها يجاهر الشاعر علانية باسم غلامه الذي يعشقه، وأنه من أحسن ما رأتْ عينه -وقد كثرت المقطوعات في بكر على هذه الشاكلة، وتكتفي الدراسة بهذه المقطوعة، حتى لا يعد تكرارا- ثم كعادته في تقلب الأمزجة، نراه بعد كل هذا العشق يهجو معشوقه، فيروي أبو الفرج عن بكر بنِ دَهْمَرد هذا قائلا: "وكان شديد التمنع والتصون، فاحتال قوم من أهل حمص فأخرجوه إلى متنزهٍ لهم يعرف بميماس، فأسكروه وفسقوا به جميعا"[٤]، ولما بلغ دِيك الجِنِّ الخبر، قال فيه أكثر من مقطوعة يهجوه، وكأنه يغار عليه من أن يمسه أحد غيره، يقول على بحر البسيط:

---

١ – د. عزيز فهمى: المقارنة بين الشعر الأموي والعباسي، ص ٢٨٤.

٢ – أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ج١٥، ص ٤٦ .

٣ – الديوان، ص ١٣٤.

٤– أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ج١٥، ص ٤٦.

قولا لبكرِ بنِ دَهْمَرِدٍ إذا اعْتكرتْ عساكرُ الليلِ بين الطاسِ والجامِ

قدْ كنتَ تَفرقُ من سهمٍ بغانيةٍ فصرتَ غيرَ رَمِيمٍ رقعةَ الرَّامِـــي

وكنتَ تفزعُ من لمْسٍ ومن قُبَلٍ فقد ذَلَلْتَ لإسراجٍ وإلجـــــامِ[1]

وواضح تعريض دِيك الجِنِّ بحادثة (ميماس) التي اعتدوا فيها على بكر بن دَهْمَرد، وأن الندماء اللوطيين، جعلوا من موضع وطئه هدفًا لرمي سهامهم –والمعنى واضح– وقد كان دهمرد قبل ذلك لا يسمح لدِيك الجِنِّ بلمسةٍ أو قبلةٍ، أما الآن فقد ذلَّ كما يذلّ الحصان الجامح لإسراجه وإلجامه لكل مَن يريد أن يمتطيه، وهو تشبيه –على ما فيه– جميل ورائع، لا يخرج إلا من شاعر مبدع حقًا، وكل ذلك يدل على أن حالته النفسيَّة المضطربة مستعدة لتقبل مثل هذا الميل الغريزي الشَّاذ، وشيوع الإباحية في عصره عزَّز هذا الاتجاه في خلق شخصية منحرفة سلوكيًا، وقد ذكرنا آنفًا أن الانفعاليَّة من السمات الشخصيَّة، وهي ألا يأخذ صاحبها باعتبار أي محرمات دينيَّة أو أخلاقيَّة، فيكون متحررًا من أي قيدٍ يحدّ من كلماته الحادة اللاذعة، ونجده يتطاول على العبادات[2]، وهذا ما يظهر جليًّا عند دِيك الجِنِّ.

١– الديوان، ص ٢٣٠.

٢ – فيصل عباس: الشخصيَّة في ضوء التحليل النفسي، ص ٣٦.

الخاتمـــــة:

تبقى هذه الدراسة كمحاولةٍ يسيرة للاقتراب من شعر دِيك الجِنِّ الحِمْصيّ وسماته الشخصيَّة، ومن أجل فَهمٍ سهلٍ لنفسيَّته، وأثر ذلك على إبداعه، وقد توصّلتْ إلى النتائج الآتية:

- يعد المنهج النفسي أقرب المناهج ملاءمة لدراسة شعر دِيك الجِنِّ، فهو أفضلها؛ للغوص في أعماق نفسه، وتقديم تفسير حقيقي لنِفاره، وتجلي الذات عنده، ومكابدتها في آنٍ واحد، وانعكاس ذلك على شعره، وما كان ذلك ليتأتَّى إلا بهذا المنهج.

- كان دِيكُ الجِنِّ شديد التأثر بأوضاعه النفسيَّة المتقلبة، لا يكاد يستقر نفسيًا على شيء، عدوانيًّا شكّاكًا قلقًا مدمنًا، متغير الأمزجة والأهواء، وكل هذه المتناقضات النفسيَّة كانت تتصارع في أَنَاه، والأنا عنده في صراعٍ دائم، وهي أَنَا سافرة نافرة حزينة مضطربة ممزّقة حائرة مشتّتة، وقد انعكس ذلك على إبداعاته الفنيَّة، حتى كان شعره صورة حيَّة لبواعثه النفسيَّة.

- عبَّر معجمُه الشّعري عن حالته النفسيَّة والشعوريَّة التي كان يعيشها، والتي كانت تارة تقسو وتعنف، وتارة ترقّ وتلين، وعكستْ مفرداته لحظة بناء العمل الإبداعي.

- تسببتْ حادثةُ مقتل (ورد) زوج الشاعر في صراع دائم داخل نفسه، يتأرجح بين الأنا الوادعة العاشقة المخلصة لمن تحب، وبين الأنا المتهورة المندفعة القلقة، ذات النزعة التدميريَّة، وقد صوَّرت النصوص الشعريَّة –تصويرًا دقيقًا– ذلك الصراع الذي مزَّق نفس الشاعر تمزيقًا.

- استخدام الشاعر لكلمات حادة وقوية في التعبير عن انتقامه، نحو: "شفاني سيفي– حزِّ التراقي – قطعا– حزِّ النَّحور"، تؤكد على تلك النزعة التدميريَّة التي تجيش في نفس الشاعر.

- كان الدهر بالنسبة لدِيك الجِنِّ هو العدو الخفي، الذي يخيفه ويقلقه، ويهدده بسلب حياته، ومتعه التي يتلذذ بها؛ لذا ما كان يصور الدهر في شعره إلا كأنه محضُ لصٍ يتربّص به.

- نفرَ دِيكُ الجِنِّ من قواعد الدين وأسسه، واستهتر بها، وعبَّر عن ذلك النِّفَار في صورة شعريَّة عنيفةٍ وجريئةٍ ومتهورةٍ، وفيها كثيرٌ من الشكّ، وكأنّه يتحدّى بها مجتمعه الذي ينبذ فكره.

- أبانَ شعرُ الخمر عند دِيك الجِنّ، أن الشاعر قد اتّخذ من الخمر وسيلةً للهروب من واقعه المؤلم الذي يعيشه، ودواءً للهمِّ والغمِّ والقلق، فراح يحتسيها شمولا، فكانت علاجًا ناجعًا لما يعتريه من اضطرابات نفسيَّة، وقد برزت جماليّاتُ خمريّاته في تصوير قدرتها على بعث الاستقرار النفسي لديه، وترسيخ قدرة الأنا على العيش دون قلق أو توتّر، والتخلص من رقابة المجتمع الخارجيَّة، ومنغِّصَات نفسه الداخليَّة.

- لم تكن غلمانيَّات دِيك الجِنِّ كغلمانيَّات غيره من الشعراء المعتدلين –لو صح التعبير– إنما عكست نزقه، وفجور نفسه، وأنه صاحب نفس مضطربة، وشاذة حقًا، لا تعي ما تقول، فأظهر ذلك شعرًا ماجنًا معبِّرًا.

المصادر والمراجع:

أولا: الكتب

- أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، حققه: د. إحسان عباس وآخرون، ط/ صادر –بيروت.
- أبو نواس: الديوان، ط/ دار صادر– بيروت، سنة ٢٠٠٤م.
- ابن عساكر: تاريخ دمشق، ت: سكينة الشهابي، ط/ دمشق– سوريا، سنة ١٩٩٢م، ج/٤٢.
- ابن منظور: لسان العرب، ت: عبدالله الكبير وآخرون، ط/ دار المعارف– مصر، (د.ت).
- أحمد أمين: ضحى الإسلام، ط/ مكتبة النهضة– مصر، ج١.
- أحمد عبد الخالق: قلق الموت، سلسلة عالم المعرفة، ط/ الكويت، سنة ١٩٩٨م، ع١١.
- ألبير كامو: الإنسان المتمرّد، ترجمة: نهاد رضا، ط٤/ بيروت، سنة ٢٠٠٢م.
- إمبرتوإيكو: التأويل والتأويل المفرط، ت: ناصر الحلواني، ط/ الهيئة العامة لقصور الثقافة– القاهرة، سنة ١٩٩٩م.
- بسَّام قطوس: دليل النظريَّة النقديَّة المعاصرة، ط١/ الكويت، سنة ٢٠٠٤م.
- جان كوهين: اللغة العليا– النظريَّة الشعريَّة، ت: د. أحمد درويش، ط/ المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، سنة ١٩٩٥م.
- جيروم ستولنيتز: النقد الفني، ت: فؤاد زكريا، ط٤/الهيئة العامة للكتاب– مصر، سنة ٢٠٠٢م.
- حلمي مراد: مركب النقص والعقد النفسيَّة، أسبابها وعلاجها وأمثلتها عند العظماء، ط/ المؤسسة العربية للطبع والنشر– القاهرة.
- د.خريستونجم: في النقد الأدبي والتَّحليل النفسي، ط/ دار الجيل– بيروت، سنة ٢٠٠٢م.

- دالان إفانز: جاك لاكان وإغواء التَّحليل النفسي: ت:عبدالمقصود عبدالكريم، ط/ المجلس الأعلى للثقافة- القاهرة، سنة ١٩٩٩م.
- زين الدين المختاري: المدخل إلى نظريَّة النقد النفسي، سيكولوجيَّة الصورة الشعريَّة في نقد العقاد نموذجًا، ط/ منشورات اتحاد العرب، سنة ١٩٩٨م.
- د. زينب شقير: مقياس قلق المستقبل، ط١/ الأنجلو المصرية- القاهرة، سنة ٢٠٠٥م.
- سعد مغربي: ظاهرة تعاطي الحشيش، ط/ دار المعارف- مصر، سنة ١٩٩٨م.
- د. سمر الديوب: الثنائية الضدية "دراسات في الشعر العربي القديم"، ط/ منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب- دمشق، سنة ٢٠٠٩م.
- د. سناء حامد زهران: إرشاد الصحة النفسيَّة لتصحيح مشاعر الاغتراب، ط١/ عالم الكتب- القاهرة، سنة ٢٠٠٤م.
- سويف مصطفى: مشكلة تعاطي المخدرات بنظرة علميَّة، ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ٢٠٠٣م.
- سيجموند فرويد: تفسير الأحلام، عرض وتبسيط: د. نظمي لوقا، ط/ دار ومكتبة الهلال- القاهرة.
- ـــــــــــ: مدخل إلى التَّحليل النفسي، ت: جورج طرابيشي، ط٣/ دار الطليعة- بيروت، سنة ١٩٩٥م.
- د. صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، ط/ دار الآفاق العربية- القاهرة، سنة ١٩٩٦م.
- د. طه حسين: حديث الأربعاء، ط١٥/ دار المعارف، سنة ٢٠٠٣م، ج٢.
- عبدالرحمن العيسوي: المضمون النفسي لقانون المخدرات، ط١/ دمشق، سنة ٢٠١١م.
- عبدالسلام بن رغبان: ديوان شعره، جمع وتحقيق: مظهر الحجي، ط/ منشورات الاتحاد العربي- دمشق، سنة ٢٠٠٤م.
- د. عبدالقادر فيدوح: الاتّجاه النفسي في نقد الشعر العربي، ط/ اتحاد الكُتَّاب العرب، سنة ٢٠٠١م.

- عبداللطيف شرارة: حصاد الفكر العربي الحديث في النقد الأدبي، ط/ مؤسسة ناصر للثقافة- مصر، سنة١٩٧١م.
- د. عز الدين إسماعيل: التفسير النفسي للأدب، ط/ دار المعارف- مصر، سنة ١٩٩٣م.
- د. عزيز فهمي: المقارنة بين الشعر الأموي والعبَّاسيّ في العصر الأول، ط/ دار المعارف-القاهرة، سنة ١٩٧٩م.
- د. عصام عبداللطيف: سيكولوجيَّة العدوانيَّة وترويضها، ط/ دار غريب- القاهرة، سنة ٢٠٠١م.
- عفاف عبدالمنعم: الإدمان دراسة نفسيَّة لأسبابه ونتائجه، ط/ دار المعرفة الجامعية- الإسكندرية، سنة ٢٠٠٣م.
- فيصل عباس: الشخصيَّة في ضوء التَّحليل النفسي، ط/ بيروت، سنة ٢٠١٤م.
- د. قيس النوري: الأنثروبولوجيا النفسيَّة، ط/ بغداد، سنة ١٩٩٠م.
- كارل ألبرت: أنماط الشخصيَّة أسرار وخفايا، ت: حسين حمزة، ط١/ مطبعة كنوز المعرفة- الأردن، سنة ٢٠١٤م.
- مارتن ليندا ور: الدراسة النفسيَّة للأدب، النقائص، والاحتمالات، والإنجازات، ت: د. شاكر عبدالحميد، ط/ مسقط- عمان، سنة ١٩٩١م.
- مجموعة من المؤلفين: مراجع الشخصيَّة "الهو، الأنا والأنا العليا" دراسة في التَّحليل النفسي، ت: وجيه أسعد، ط/ منشورات وزارة الثقافة- دمشق، سنة ٢٠٠٢م.
- محمد بلوحي: آليات الخطاب النقدي العربي في مقاربة الشعر الجاهلي، ط/ اتحاد الكُتَّاب العرب- دمشق، سنة ٢٠٠٤م.
- د. محمد السيد عبدالرحمن: نظريَّات الشخصيَّة، ط/ دار قباء للنشر والتوزيع- القاهرة، سنة ٢٠٠٢م.
- د. محمد عيَّاش: أنماط الشخصيَّة وإشكالات القيادة والتربية في العمل الإسلامي المعاصر، ط/ عمان، سنة ٢٠١٣م.

- منتهى عبد الصاحب: أنماط الشخصيَّة وفق نظرية الإنيكرام والقيم والذكاء الاجتماعي، ط١/ عمان، سنة ٢٠١١م.
- يوسف مراد: مبادئ علم النفس العام، ط٨/ دار المعارف- مصر، سنة ١٩٩٢م.
- يوسف ميخائيل أسعد: سيكولوجية الغضب، ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ٢٠٠١م.
- يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، ط٢/ بيروت، سنة ٢٠٠٩م.

ثانياً: المجلات العلميَّة.

- د. داليا محمد خطَّاب: سمات الشخصيَّة والتشوهات المعرفيَّة لدى مدمني الكحول، المجلة المصريَّة للدراسات النفسيَّة، العدد(١١٦)، المجلد الثاني والثلاثون- يوليه ٢٠٢٢م.
- سعيدي محمد: الرفض في الشعر العربي المعاصر، مجلة الآداب والعلوم- جامعة قاصدي مرباح ورقلة- الجزائر، العدد السابع، سنة ٢٠٠٨م.
- د. محمد عيسى: القراءة النفسيَّة للنص الأدبي: مجلة: جامعة دمشق، المجلد ١٩، العدد (١-٢)، سنة ٢٠٠٣م.